قال عادل في قلق :

ـ هذه المجنونة . . لقد صدقته .

قالت ليلى :

ـ ولكنها كما سمعت لن تغادر السيارة . . ثم لا تنس أنها زوجته .

هز عادل رأسه في شك وقال :

ـ إنه نذل عديم الشرف ولا وعد له . . كم أود أن نسرع الى هناك فقد تحتاج إلى مساعدتنا .

ظهر التردد على وجه عصام عندما قالت ليلى :

ـ خالد ووليد هناك ومعهما « فينو » و« فصيح » ، وهذه قوة لا يسهل قهرها .

ومض بريق في عيني عادل ، وقال كمن تذكر أمراً غاب عنه طويلاً :

يا لي من غبي ! إن دليل براءتي معه . . أرجوكم اصحبوني إلى هناك ، وإلاّ ضاعت الفرصة إلى الأبد .

قالت ليلى :

ـ إن في ظهورك خطراً عليك . . ألم تسمع من الشريط

أنه استنجد بالشرطة لتحرسه ؟

أسكتته حجتها القوية فقال بأسى :

ـ لقد فاتني أن أخبركم أن المبلغ الذي اختلسه تحمل أوراقه أرقاماً مسلسلة جديدة ، فإذا عثرنا على مكانها أمكنني إثبات براءتي على الفور .

قال عصام :

ـ هذا أمر بالغ الأهمية حقاً ، وسأخبر به خالداً على الفور .

قالت ليلى :

ـ هل يذهب « سرور » معنا ؟

ولم ينتظر « سرور » جواب الموافقة بل قفز من الشرفة واتخذ مكانه من « الڤسبا » بكل هدوء .

قالت ليلى :

ـ سنسرع إلى خالد وسنسمعه الشريط ونرى عن كثب ما يدور هناك .

***

كان وليد مشمراً عن ساعديه ويداه ملوثتان بالشحم والزيت وهو يتظاهر بإصلاح عطب أصاب الدراجة ، بينما وقف خالد إلى جواره وعيناه لا تفارقان مدخل منزل « أسعد » ، كما أن « فصيحاً » طار واستقر على شرفة الدار بعد أن اختار لنفسه مكاناً ظليلاً . أما « فينو » فكان على عادته من اللهو ، فأخذ يطارد العصافير في مرح وسعادة .

ومر الوقت بطيئاً ولا جديد ، حتى أمسك خالد بساعد وليد يضغطه قائلاً :

- انظر . . ربما كان هذا هو أسعد ولكن معه فتاة يكلمها ويحاول أن يقنعها بشيء .

تطلع وليد أيضاً فشاهده يخرج من جيبه مفتاحاً ويتقدم نحو باب المنزل فقال :

- لا شك في أنه هو ، ولكن ترى من هذه الفتاة التي يدفعها أمامه نحو البيت ؟

هتف خالد :

- « فصيح » . . تعال أسرع .

وهبط « فصيح » مسرعاً فقال خالد :

- اجلس فوق هذه الشجرة ، وإذا اقترب أحد من الدراجة فنادنا .

والتفت إلى وليد وقال :

- هيا يا وليد . . إتبعنا يا « فينو » .

قال وليد :

- لقد فتح النافذة ، وإن استطعنا الاقتراب منها أمكننا أن نرى ونسمع كل شيء يحدث في الداخل .

قال خالد :

- سنفعل ذلك ، ولا خوف علينا فسنقف في الحديقة .

وعبروا الشارع ، وهموا بالدخول عندما سمعوا صوت « فصيح » يصرخ :

ليلى يا خالد . . ليلى . . « سرور » يا خالد !

والتفتوا فرأوا « القسبا » تقترب مسرعة فقال خالد :

- ما الذي جاء بهم ؟ لا بد أن أمراً حدث حملهم على المجيء .

وعادوا أدراجهم فبادرهم خالد :

- ماذا حدث ؟ لماذا تركتم مكان مراقبتكم ؟

أجابه عصام :

- حضرنا لأن الأمر لا يحتمل الإبطاء .

وشرح له كل ما تم ، ونقل إليه كلمات عادل ، فقال خالد :

- إذن فهي لمياء التي معه . . أسرعوا إذن . .

وانطلقوا جميعاً إلى قرب النافذة ، ونظر خالد إلى الداخل ، كان الزجاج مغلقاً ، والستارة تحجبه عن عيون الذين في الداخل ، وشاهد لمياء تجلس على مقعد مواجه للنافذة ، ورأى مكتباً كبيراً جلس وراءه أسعد وهو منهمك في حديث طويل مع لمياء التي يبدو أنها اكتفت بالإصغاء دون الإجابة أو الكلام .

كان خالد مغتاظاً لعدم قدرته على سماع ما يدور بينهما ، وأدرك ألاّ جدوى من وقوفهم ولا طائل من وراء المشاهدة وحدها .

وكاد يترك مكانه لولا أنه رأى أسعد يترك مكانه خلف المكتب ويذهب إلى المكتبة ويرفع منها عدة كتب ثم يمد يده في فجوة ليخرج منها علبة مغلقة ، ثم أعاد الكتب إلى مكانها ، واقترب من لمياء وفتح العلبة وهو يبتسم .

مدت لمياء يدها وتناولت منه العلبة وبادلته بضع كلمات ثم هبت واقفة .

وفجأة تغير المشهد ، إذ تلاشت ابتسامة أسعد وحل محلها تجهم وهو يشير إليها لتجلس ، ولكنها رفضت وسارت نحو الباب بينما وقف أسعد في طريقها .

التفت خالد إلى وليد وقال :

- يبدو أن لمياء في خطر ، إذا استغاثت فعلينا مساعدتها فوراً .

ولكن ما جرى بعد ذلك جعلهم يسرعون بالابتعاد ، فقد تنحى أسعد عن مكانه وتركها تمر بعد أن فتح لها الباب .

وخرجت لمياء إلى الحديقة تحمل صندوق مجوهراتها وخرج بعدها أسعد وقال :

لست أدري الى متى أتحمل تصرفاتك هذه ؟

أجابته بصوت مرتجف :

- ألم أشترط عليك عدم دخولي ؟ ومع ذلك فقد دخلت .

فتح لها باب السيارة وقال :

- وماذا جرى بعد دخولك ؟ هل فقدت ثقتك بي إلى هذا الحد ؟

لم تجبه وصعدت إلى السيارة صامتة . وجلس هو خلف مقود السيارة لينطلق بها مسرعاً .

قال خالد :

- أسرع يا وليد . . خذ معك « فصيحاً » ولا تدع

السيارة تغيب عن بصرك ، وإذا احتجت إلينا فأرسل رسالة مع « فصيح » .

ثم هتف بفصيح قائلاً :

- « فصيح » هيا مع وليد .

وانطلق وليد مع « فصيح » عندما قال خالد :

- إذا كانت النقود في المنزل فهي لا شك في المكان عينه الذي كان يحتفظ فيه بعلبة المجوهرات .

قال عصام :

- استنتاج سليم حقاً . . ولكن ماذا نفعل لنتحقق من ذلك ؟

كان خالد يحدق في نافذة مستديرة صغيرة ترتفع عن الأرض بحوالي مترين ، ثم قال :

- سنفعل ذلك حالاً . .

وقبل أن يدركوا مقصده أشار الى « سرور » فأقبل هذا نحوه فأخذ يشرح له أمراً والقرد الذكي يهز رأسه علامة الإدراك . وبعد لحظة قفز « سرور » داخلاً إلى الحديقة وخالد يراقبه في تحركاته السريعة الرشيقة حتى رآه يمسك بحافة النافذة الصغيرة التي يبدو أنها نافذة حمام ، ثم يقفز قفزة واحدة ليصبح بعدها داخل المنزل .

قال خالد :

- راقبوا الطريق . . وسأرى ما يفعل « سرور » .

وسار ، وسارت معه ليلى حتى أطلا من النافذة ، ووقع بصرهما على « سرور » . كان يقف على ظهر المقعد المواجه للمكتبة ، وهو يرفع الكتب من داخلها .

ونقر خالد على زجاج النافذة ، فلما التفت إليه « سرور » أشار له ليقترب ففعل ، فأخذ خالد يشير إليه إشارات معينة ، فعاد « سرور » فوضع الكتب في مكانها ، ثم شرع يرفع غيرها وهو ينظر تجاه النافذة ، فلما رأى خالداً يهز له رأسه موافقاً مضى في عمله مطمئناً .

قال خالد بفرح :

- إنه يبحث في المكان الصحيح .

ولم تمض غير لحظات حتى قفز « سرور » من مكانه وفي يده رزمة ضخمة من أوراق النقد .

هتف خالد بفرح :

- لقد عثر عليها . . لقد عثر على النقود .

وجاء « سرور » مسرعاً إلى النافذة فأشار له خالد ليخرج من نافذة الحمام ، فأسرع يقفز خارجاً ليتلقاه .

وتجمعوا حوله فقال خالد :

ـ تفرقوا بسرعة حتى لا نلفت إلينا الأنظار .

وتناول رزمة النقود وفحصها فوجدها جديدة ، وتحمل أرقاماً مسلسلة فاحتفظ منها بورقتين ، وأعاد الرزمة إلى « سرور » وطلب منه إعادتها إلى مكانها وإعادة الكتب كما كانت .

وأسرع « سرور » ، فنفذ المطلوب منه ببراعة وسرعة مذهلتين ، بينما أسرع خالد تاركاً مكانه ، وأشار إلى الجميع فتبعوه إلى حيث استقبلهم « فصيح » :

ـ كله تمام .. كله تمام .. « فصيح » عظيم ..

ولكن أحداً لم يلتفت إليه ، بل تجمعوا حول خالد في انتظار سماع ما سيقول ، ولكن خالداً كان ينظر إلى الكوة الصغيرة صامتاً ، ثم تنهد بارتياح عندما ظهر « سرور » خارجاً منها . وفي قفزة بارعة كان « سرور » في الحديقة . ثم أقبل مهرولاً إليهم . وأسرعوا إلى الحديقة العامة ، وجلسوا يخططون لخطوتهم التالية عندما قال عصام :

ـ لقد ثبتت براءة عادل .. وعلينا إبلاغ ذلك إلى الشرطة ليتم الإفراج عنه .

أجابه خالد :

ـ لا تتعجل الأمور .. فالقضية شائكة بالنسبة إلينا إذ لو



سمع بابا بما فعلناه لكانت العاقبة سيئة .

سألته ليلى :

ـ ماذا تعني يا خالد ؟ لقد عثرنا على مكان النقود المختلسة ، وهذا يثبت براءة عادل المسكين .

هز خالد رأسه بتؤدة وقال :

ـ هذا صحيح . . ولكن عليك أن تفسري للشرطة وجود هاتين الورقتين معنا . . فهل نقول لهم : إننا سطونا على بيت أسعد وأخذناهما منه ؟ وسكت برهة ثم قال :

ـ أفضل الطرق وأبسطها هو إيداع الورقتين النقديتين داخل غلاف مع ملخص للقصة كلها ، ثم إرسال ذلك الى الشرطة .

سألته ليلى :

ـ وهل سيهتمون بمثل هذه الرسالة يا خالد ؟

أجابها مؤكداً :

ـ لا شك في ذلك ، ولا سيما إذا وقع عادل على الرسالة وأعلن فيها أنه سيسلم نفسه . .

هتفت ليلى :

ـ عظيم يا خالد !

ومرت دقائق قال خالد بعدها :

ـ لقد تأخر وليد . .

ولكن صوت « فصيح » قطع عليه كلامه إذ عاد يصيح :

ـ كله تمام . . كله تمام . . إلحق يا خالد . . إلحق يا خالد بسرعة . .

وامتدت يد خالد وتناول الرسالة المربوطة إلى ساقه وقرأ فيها :

ـ أسرعوا كلكم الى شارع المحطة . . لمياء في خطر .

هبّ خالد مسرعاً وقال :

ليلى ! أسرعي إلى منزل وليد بهذه الرسالة وسلميها لعادل .

واخذ يكتب بسرعة رسالة إلى عادل ، ثم أرفق بها الورقتين النقديتين ، وقال :

ـ اركبي سيارة أجرة ، ثم عودي إلى شارع المحطة ، ومعك عادل والشرطة .

أسرعت ليلى تنفذ المطلوب منها ومعها « فصيح » . أما خالد فقد جلس في المقعد خلف عصام بينما ركب « فينو » في المقعد الجانبي ، وانطلقوا مسرعين إلى العنوان الذي

معهم .

وصلت ليلى إلى عادل الذي قرأ الرسالة وقال :

ـ أسرعي يا ليلى سأذهب بنفسي وأسلم النقود .

أجابته ليلى :

ـ أخشى أن يغضب خالد ، لقد طلب منك كتابة رسالة وستكتب فيها عنوان لمياء ليسرعوا إلى إنقاذها .

سألها عادل :

ـ وهل أظل أنا هنا ، وهذا المجرم يهدد لمياء المسكينة ؟

أجابته ببساطة :

ـ إذن اذهب الى هناك وانضم الى خالد ووليد وعصام .

وفي سرعة كتب الرسالة ، ووقعها باسمه وسلمها الى ليلى التي أسرعت بها الى مديرية الشرطة ، وسلمتها إلى المفتش مروان صديق المفتش جميل .

وصل خالد الى العنوان ، فشاهد وليداً يقف أمام دارة صغيرة من طابق واحد . وما كاد يقفز من مقعده حتى بادره وليد :

ـ إن هذا المجرم اخطر مما يبدو . . . لقد حدثت مفارقة

غريبة عندما وصل مع لمياء إلى هنا .

قال خالد :

ـ كيف ؟ أوجز يا وليد .

قال وليد :

ـ توقفت بهم السيارة . وظهر أن لمياء ترفض النزول معه فجذبها بقوة ودخل بها إلى الدارة وهي تصيح وتستغيث . وكان بعض رجال الشرطة مارين فأسرعوا نحو صوت الاستغاثة ، فرجع إليهم أسعد متظاهراً بالدهشة من تدخلهم وقال لهم : انها زوجتي وإليكم صورة من عقد قراننا ، ونحن على خلاف زوجي ، ولا علاقة للشرطة في ذلك .

وأصر أحد الرجال على سؤال لمياء فلم يمانع وصحبهم إلى الداخل فانسللت خلفهم وسمعت الشرطي يسأل لمياء :

ـ إن هذا السيد يدعي أنك زوجته ، فهل هذا صحيح ؟

وهبت تريد الاحتماء برجال الشرطة فصفعها أسعد قائلاً :

ـ أجيبي عن سؤال السيد .

انكمشت لمياء وهي تبكي وقالت :

ـ نعـــم ، ولكنـــي أريد الخـــروج . . لا تتركونـــي أرجوكم . . خذوني من هنا .

ووجد رجال الشرطـة أن الأمـر خارج عن سلطتهـم ، فقال أحدهم :

أرجوا أن تزيلا هذا الخلاف فأنتما زوجان . .

قاطعته لمياء قائلة :

ـ خذوني من هنا . . أرجوكم . .

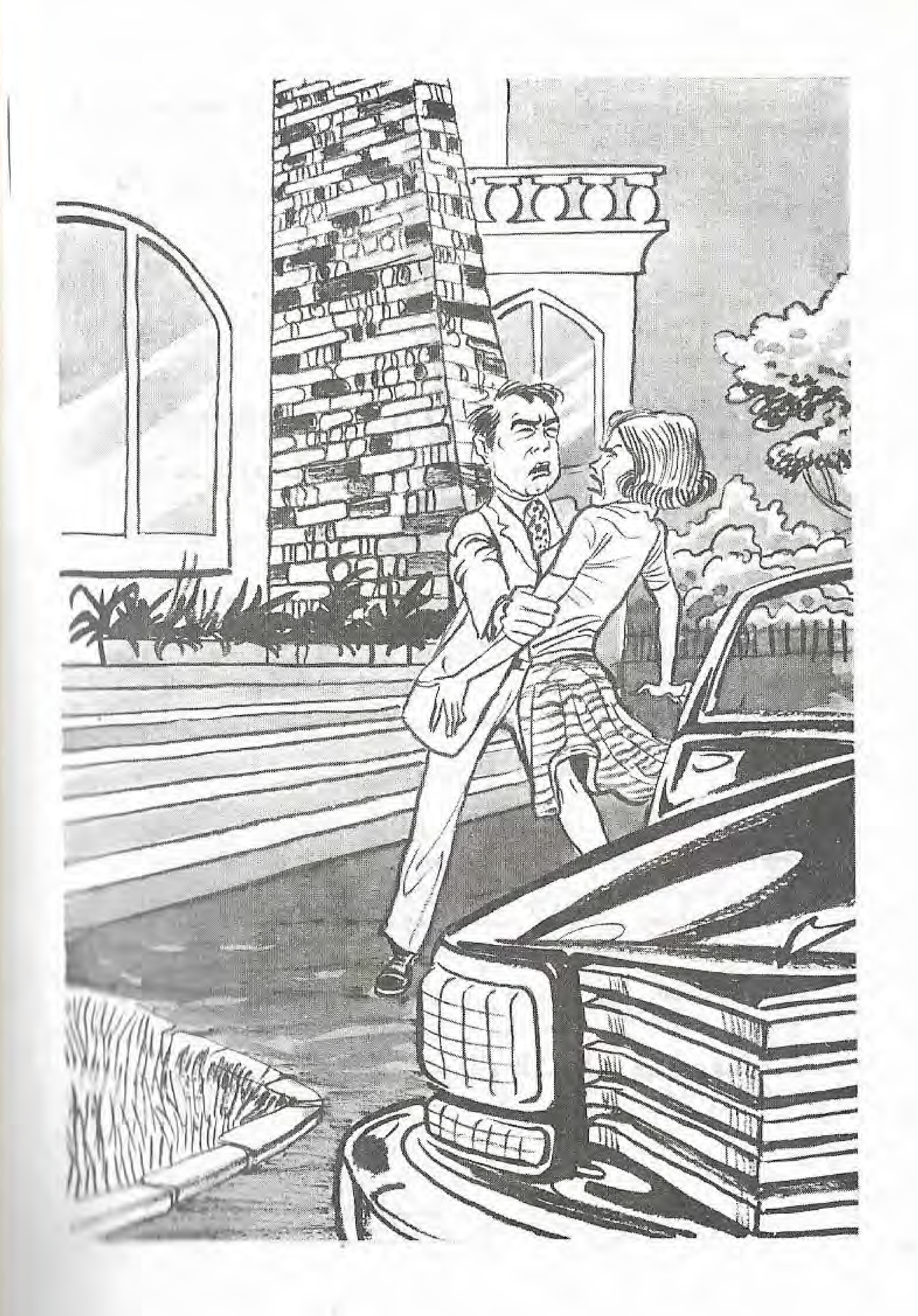
ولكن أسعد حسم الأمر قائلاً :

ـ إنها مختلة الأعصاب ، وهذا سبب صفعي لها ، فلو لم افعل لاستمرت تصرخ .

وأدرك رجـــال الشرطـــة ألا حيلـــة لهـــم ، فاعتـــذروا وانصرفوا . فاسرعت أنا بالخروج وارسلت لكم رسالتي مع « فصيح » .

سأله خالد :

ـ وهل انصرفت الشرطة من وقت طويل ؟



أجابه وليد :

- منذ نصف ساعة تقريباً . .

قال خالد :

- علينا أن نعمل . . وستلحق بنا ليلى ومعها النجدة . . هلموا معي .

سأله عصام :

- ماذا ستفعل ؟

أجابه بهدوء :

- سأضغط الجرس ، فإذا فتح الباب فاندفعوا معي الى الداخل .

وانحنى على« سرور » وهمس له ببضع كلمات وربَّت على رأس « فينو » وقال :

- والآن هيا بنا .

وضغط زر الجرس فتعالى رنينه يمزق السكون المخيم . وكان خالد وحده أمام الباب بينما انزوت الفرقة جانباً . . وسمعت خطوات تقترب وصوت أسعد يقول :

- من بالباب ؟

وهنا دفع خالد « بسرور » فانطلق مسرعاً ليدور حول المكان ويختفي .

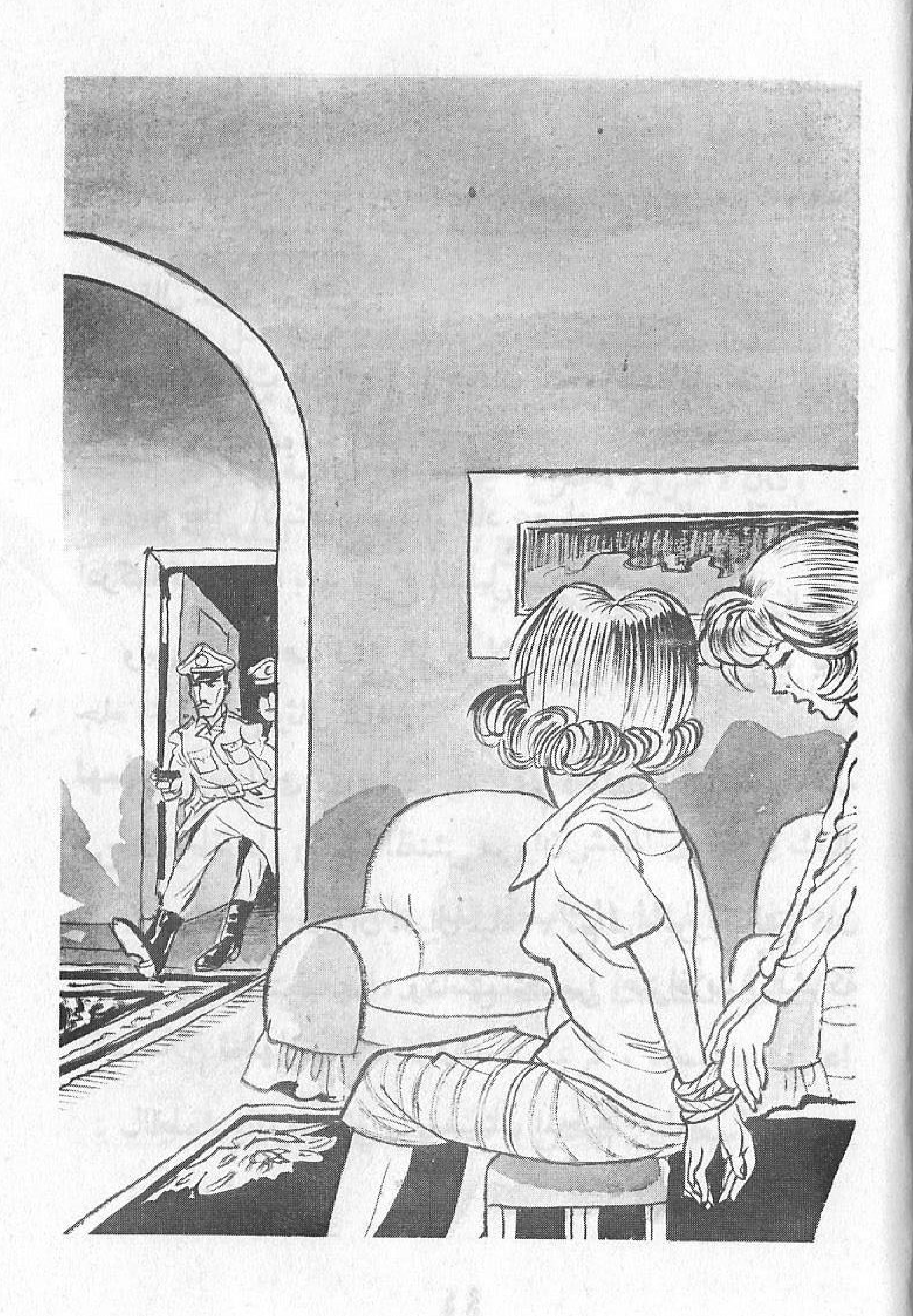
وقال بصوت عالٍ :

- هل هذه المحفظة لكم ؟ لقد عثرنا عليها أمام دارتكم .

وسمع صوت المفتاح يدور بالباب ثم يفتح في حذر . ولكن يبدو أن صغر سن خالد جعل أسعد يطمئن ويفتح الباب كله . عندئذ توالت الأحداث بسرعة لم تسمح له بالتفكير أو إبداء أي ردة فعل .

كان أول من بدأ الهجوم « فينو » الذي قفز قفزته الرهيبة ودفعه في صدره ، فألقاه على الارض ، وجثم فوقه في الوقت الذي هجم فيه « سرور » وكان قد دخل الدارة من بابها الخلفي ، فانقض على أذنيه وراح يمارس هوايته المفضلة في قضمها ، وأسعد يصرخ مستغيثاً .

واندفع خالد وعصام إلى الداخل فشاهدا لمياء المسكينة مقيدة وأمامها على منضدة صغيرة ورقة وقلم . وكانت في حالة إغماء فلم تشعر بهم .



قال خالد :

ـ وليد ! . دع هذا المجرم في مكانه ولا تدعه يتحرك .

صرخ أسعد :

ـ من أنتم ماذا تريدون ؟سأعاقبكم . .

قال خالد :

ـ أسرع يا عصام واستدع رجال الشرْطة حتى يحلوا وثاق لمياء بأنفسهم .

وأسرع عصام إلى الخارج وشرع خالد يحاول إيقاظ لمياء من إغمائها وفجأة اندفع الباب بقوة وظهر من خلفه عادل الذي ما كاد يرى غريمه على الأرض حتى انقض عليه يريد الفتك به ، ولكن وليداً حال دونه وقال :

ـ أدخل فإن خالد سيسعد برؤيتك .

وما إن وقع بصره على لمياء مقيدة ، وخالد يحاول إسعافها حتى هتف :

لمياء . . . لماذا هي مقيدة يا خالد ؟

وفي هذه الأثناء فتحت لمياء عينيها ، وما كادت ترى عادلاً أمامها حتى هتفت :

- عادل ! !

أجابها :

نعم يا لمياء .. لا تخشي شيئاً .

وقال خالد بعطف :

- هل يؤلمك الوثاق ؟ أرجو ان تتحملي دقائق حتى تراك الشرطة على هذه الحالة .

ولم يطل الانتظار ، فقد عاد عصام ومعه الشرطة الذين أدركوا كل شيء بعد شرح القليل من لمياء .

وأسرع أحدهم فبلغ المركز لاسلكياً عن الواقعة ، بينما جاء آخر فحل وثاق لمياء .

وسمع صوت وقوف سيارة ، ثم دخلت ليلى ومعها حملة من الشرطة على رأسها المفتش مروان .

سمع المفتش مروان أقوال لمياء ، ثم قرأ الورقة التي كان يطالبها أسعد بتوقيعها ، وكانت تتضمن اعترافاً ببيع الشركة واستلام ثمنها ، فقال مروان :

- اطمئني يا سيدتي .. سينال المجرم جزاءه .

قال عادل :

- سيدي المفتش .. أنا عادل مقصود السجين الهارب .. أسلم نفسي إليك .

قال المفتش :

- لقد أخطأت بهربك يا عادل .. وعلى كل سنرى ما يمكن أن نفعله من أجلك .. والآن هيا الى منزل أسعد .

وكان « سرور » أسرع الجميع إلى المكتبة ، فرفع الكتب من مكانها ومدَّ يده وأخرج رزمة الأوراق النقدية والمفتش مروان ينظر إليه في دهشة .

وعندما مد يده بالنقود قال خالد :

- « سرور » هو الذي اكتشف مكانها ، وها هوذا يسلمها إليك يا سيدي المفتش .

التفت المفتش الى أسعد الذي وقف مكبلاً ذليلاً وقال :

- لقد انكشفت لعبتك ولا مفر لك من الاعتراف .. اعترف يا أسعد ، فربما ينفعك الاعتراف .

نظر أسعد الى المفتش ، ثم حول نظره الى الفرقة وقال :

- شياطين .. عفاريت .

صاح « فصيح » :

ـ شياطين . . شياطين . . أسعد حمار . . أسعد حرامي .

وضحك المفتش وضحكت لمياء ثم قالت :

ـ أشكركم جميعاً ، فأنا مدينة لكم بحياتي ، ولكنني لم أتشرف بمعرفتكم بعد .

أجابها « فصيح » :

ـ المغامرون . . المغامرون .

ضحك المفتش وقال :

ـ هذا هو اسمهم حقاً . . إنهم فرقة المغامرين الأذكياء .

الكنز الإغريقي

هذا هو عنوان القصة القادمة ، أما أحداثها فتدور في أعماق البحار ، لن نحدثكم عنها كي لا تفقدون المتعة في قراءتها .

طبع في دار النفائس - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت

لئن كانت غاية القصة «البوليسية» جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا «البوليسية» هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .



صدر من

« المغامرون الاذكياء »

١ ـ واحة الاشباح
٢ ـ العصابة الخفية
٣ ـ بائعة الورد
٤ ـ خمسة جنيهات ذهبية
٥ ـ بيت الاسرار
٦ ـ سجين القلعة
٧ ـ سر العصافير
٨ ـ الكنز الاغريقي
٩ ـ تاجر المجوهرات
١٠ ـ عش الثعلب
١١ ـ مغامرة في الصحراء
١٢ ـ بائع الناي
١٣ ـ رسول منتصف الليل
١٤ ـ المهرب المجهول
١٥ ـ السجين الهارب
١٦ ـ القصر المهجور
١٧ ـ الكرة الحمراء
١٨ ـ مروض الحيات
١٩ ـ المجوهرات العائمة
٢٠ ـ منزل من ذهب
٢١ ـ المنطاد الأسود
٢٢ ـ الانتقام الرهيب
٢٣ ـ العناكب الحمراء
٢٤ ـ الطائرة الفضية
٢٥ ـ رسالة مجهول
٢٦ ـ الحقيبة السوداء
٢٧ ـ السائح المزيف


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



سلسلة
المغامرين الأذكياء

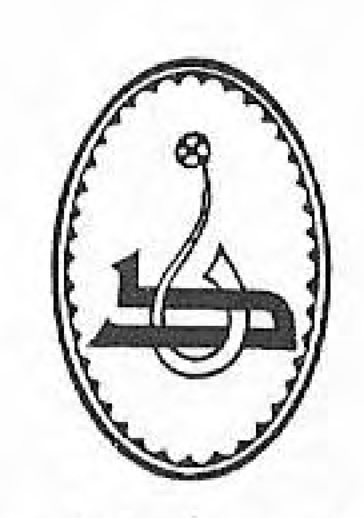
سجين القلعة

عرب كوميكس
ARAB COMICS
www.arabcomics.net

٦

دار النفائس

١



المغامرون الأذكياء

سجين القلعة

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
الطبعة الرابعة : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بَيْروت - صَرب : ١١/٦٣٤٧ - هَاتف : ٨١٠١٩٤ - بَرقيًا : دَانفايسكو

خالد ينجح بتفوق

قالت ليلى لخالد :

ـ سننتظرك في تمام الخامسة صباحاً .

أجابها خالد :

ـ أليس من الأفضل أن تبيتوا هذه الليلة عندنا ؟ سنستأذن والديك ، ولا أظن أنهما سيمانعان . .

قال عصام :

ـ إن ذلك سيسعدنا ولا شك ، ولكن والدي متغيب في رحلة إلى المزرعة ، ووالدتي وحدها في المنزل .

تدخل وليد في الحديث قائلاً :

ـ إذن سنلتقي جميعاً عندكم ، أليس كذلك يا خالد ؟

قال خالد :

ـ لا بأس ، ولكن انتظرا حتى آتي بمفتاح القسبا لكي

اوصلكما إلى المنزل .

اعترضت ليلى قائلة بإصرار :

ـ لا داعي لهذا الإزعاج ، يمكننا أن نركب الحافلة ، فالوقت لا يزال مبكراً . . ثم إننا نفضل أن يتم تدشين « القسبا » غداً في الرحلة .

أجابها خالد باسماً :

ـ فليكن ما تريدين . . ولكن حذار أن أصل غداً فأجدكم لا تزالون في الفراش ! . .

قال وليد وهو ينهض :

ـ وسأنصرف أنا أيضاً لأنام مبكراً .

التفت خالد إليه وقال مستغرباً :

ـ وما عذرك أنت أيضاً في عدم المبيت هنا ؟

ضحك وليد وقال :

ـ ومن يعتني لي بعصافيري الجميلة ؟ عليّ أن أقدم لها الغذاء وإلا هلكت جوعاً .

قال خالد باسماً :

ـ يظهر أن عصافيرك كثيرة الجوع مثلك . . على كل حال

إنه عذر مقبول . . ليكن اللقاء إذن في منزل ليلى في الخامسة صباحاً .

ما كاد خالد يودع رفاقه ويغلق الباب خلفهم حتى سارع إلى غرفة نومه وأوى الى فراشه محاولاً النوم باكراً ، ولكن الأحداث السعيدة التي مرت به في يومه هذا كانت أصعب من أن تُنسى وأن تترك للنوم سبيلاً إلى عينيه .

كانت نتائج الامتحانات قد أعلنت في المدرسة صبيحة هذا اليوم ، وقد ظهر منها أن خالداً نجح بتفوق ونال الدرجة الأولى ، وعند الظهر كان والده المفتش جميل يقدم له ، وهم على مائدة الغداء ، مفاتيح دراجة القسبا التي اشتراها له هدية ومكافأة له على هذا النجاح الباهر ، ولقد تضاعفت سعادته بهذه الهدية حين اكتشف أن للدراجة مقعداً جانبياً إضافياً (سايد كار) ، وفي المساء جاء الرفاق وليد وعصام وأخته ليلى لتهنئته بالنجاح فأقام لهم حفلة عشاء فاخر . . وحول مائدة العشاء تم الاتفاق على القيام برحلة بعيدة في الغد يزورون خلالها أطلال قلعة الجبل .

وراح خالد وهو في فراشه يناجي نفسه : ها قد انتهى العام الدراسي ، وجاءت العطلة الصيفية الطويلة . . وهذا

لا يعني الاستراحة من المذاكرة فقط ، بل يعني مزيداً من الوقت لمطالعاته الخاصة ، والقيام بمزيد من الرحلات الممتعة والمفيدة . والفرقة الآن تملك دراجتين . . دراجة وليد وتلك التي أهداها إليه والده اليوم ، وهما مع هذا المقعد الجانبي لدراجته كافيتان تماماً لتنقلات فرقة المغامرين بكامل هيئتها . إنهم الآن في غنى عن وسائل النقل المشترك . كما أنهم سيوفرون مبالغ كبيرة كانوا ينفقونها أجوراً لتنقلاتهم بسيارات الأجرة الباهظة التكاليف . أضف إلى ذلك هذه الحرية الكبيرة التي سيتمتعون بها بعد اليوم ، فهم منذ الآن يستطيعون الحركة متى شاؤوا وإلى أي مكان أرادوا ، وليسوا مضطرين الى مواعيد وسائل النقل العامة التي قد لا تتناسب في كثير من الأحيان وظروفهم الاضطرارية .

وظل خالد في أفكاره هذه حتى تسلل النعاس إلى جفونه ، فراح يغطّ في سبات عميق .

***

١

يوم في القلعة القديمة

واستيقظ في صباح اليوم التالي مع أول صيحة للديك ، فهب من فراشه وأسرع يغتسل ليطرد عنه كل أثر للكسل أو الإرهاق ، ثم ارتدى ملابسه مسرعاً حين جاءه « فينو » يسعى ومعه « سرور » الذي دخل الى الحمام حيث اغتسل ومشط شعره تمهيداً لتناول الإفطار الذي أحسن خالد إعداده .

وحمد خالد ربه على أن « فصيحاً » لا يزال نائماً حتى لا يوقظ والديه بثرثرته ومشاحناته الأبدية مع « سرور » ، ولكن الأمر لم يستمر طويلاً ، فقد سمع صوته آتياً يسعى إلى مكانهم . ابتسم خالد واستدار في مقعده ليشاهده وهو يدخل بخطواته المتمهلة .

قال خالد مرحّباً :

ـ أهلاً يا « فصيح » . . صباح الخير . .

أجابه الببغاء الذكي بالدرس الذي يردده كل صباح :

ـ صباح الخير يا خالد . . صباح الخير يا « سرور » . . صباح الخير يا « فينو » .

وفي مكانه المعتاد جلس يقضم قطع السكر في سرعة حتى يلحق بهم ، ولا سيما بسرور الذي ينافسه دائماً ويلتهم من السكر قَدْراً يفوق ما يحصل عليه هو مراتٍ عدة .

قال خالد وقد فرغوا من إفطارهم :

ـ والآن هيا إلى العمل .

وخرج من الحجرة ، و« فصيح » على كتفه ، و« سرور » يمسك براحته ويسير إلى جواره ، أما « فينو » فقد كان أسرعهم جميعاً ، وكان أول من وصل الى الڤسبا فقفز إلى مقعدها الجانبي الإضافي فملأه كله .

وحين وصل خالد ورآه على هذه الصورة ضحك وقال :

ـ حسناً يا « فينو » أفسح مكانا لرفيقك « فصيح » على الأقل .

ولم يمانع « فينو » في ذلك ، بل رحب « بفصيح » وأجلسه على حافة المقعد أمامه ، بينما وقف « سرور » في مكانه يرمقهما ببرود لا يخلو من غيظ . . أين سيجلس هو ؟

وقفز خالد إلى دراجته فأدار محركها ثم قال :

ـ هيا يا « سرور » إلى مكانك على المقعد الخلفي ورائي .

قفز « سرور » في خفة وجلس على المقعد المريح وهو سعيد بهذه النهاية ، ولم ينس وهو يطوق خصر خالد بذراعيه أن يرسل نحو « فصيح » و« فينو » نظرة ملؤها التشفي والشماتة .

وتحركت بهم « الڤسبا » أخيراً وشوارع المدينة لا تزال هادئة خالية إلا من الناس الذين بكروا يسعون إلى أعمالهم .

كانوا جميعاً سعداء منشرحي الصدور حتى إن « فصيحاً » ، وهو الوحيد الذي يملك ملكة النطق والتعبير ، أطلق صوته عالياً ليتغلب على هدير المحرك وراح يشنف أذني خالد بأغانيه وتهريجه المرح .

وعندما وصلوا إلى منزل ليلى وعصام لاحظ خالد أن وليداً قد سبقهم ، اذ شاهد دراجته « الڤسبا » مركوزة إلى جانب باب المنزل .

واجتمع شمل الفرقة وأعادوا توزيع الأماكن ، فجلست ليلى بقوامها النحيف إلى جوار « فينو » ، بينما قفز أخوها

عصام خلف وليد . وبدأت الرحلة .

مضى خالد في المقدمة ليكون دليلاً لوليد بعد أن وعى جيداً الطريق من الخريطة التي زوده بها أبوه لتدله على مسالك منطقة قلعة الجبل وما يحيط بها من دروب معبدة وغير معبدة .

وبعد نصف ساعة من السير المتواصل بلغوا منطقة تكثر فيها الهضاب والوديان فخفف خالد من سرعته تحاشياً لأية مفاجأة غير سارة في هذا الطريق الضيق الذي بدأت تكثر فيه المنحنيات الخطرة .

وبعد دقائق قليلة انحرف خالد في طريق جانبي غير معبد وتبعه وليد غير بعيد منه ، ومضت الدراجتان تهدران في طريق صاعدة مدة ثلاث دقائق ، توقف بعدها خالد وأطفأ محرك دراجته ، ووصل إليه وليد فوقف الى جانبه .

كان أمامهم جبل لا يزيد ارتفاعه على ثلاثمائة متر فوق مستوى الأراضي المحيطة به . وكان على قمته قلعة قديمة لم يبق منها سوى بعض الحجارة الضخمة ، وأجزاء قليلة من سورها المتهدم ، وبرج واحد فقط من أبراجها التي كانت كثيرة ولا شك ، وكان هذا البرج هو الشاهد الوحيد تقريباً

على وجود القلعة ، وعلى الرغم من أن يد الزمن قد امتدت إليه ، فإنه قد احتفظ بشيء ما من مظهره القديم المتين .

قال خالد مشيراً إلى القلعة :

ـ هذه هي القلعة هدف رحلتنا .

وبدت على وجوه الجميع علائم خيبة الأمل . وقالت ليلى :

ـ أهذه هي نهاية الرحلة ؟

ضحك خالد وقال :

ـ إنها البداية يا ليلى . . سنستأنف السير صعداً نحو القلعة ولكني توقفت هنا قليلاً لإراحة الدراجتين قبل المضي في هذا الطريق الصاعد الشديد الانحدار .

قال عصام :

ـ وما حكاية هذه القلعة ، ومن بناها ، ولماذا ؟

أجاب خالد :

ـ كانت هذه واحدة من سلسلة قلاع بناها الأيوبيون زمن الحروب الصليبية للتحكم في طرق المواصلات وقطع الإمدادات عن جيوش الغزاة الصليبيين ، ولتكون مرابط تحشد فيها الجيوش العربية للانقضاض على العدوُ .

قال وليد متذمراً :

ـ هل قطعنا ثلاثين كيلومتراً لنستمع إلى درس في التاريخ على الطبيعة ؟ ألم ننته البارحة فقط من العام الدراسي ومن هموم التاريخ والجغرافية ؟ . . أنا منذ أول لحظة لم أكن موافقاً على خطة هذه الرحلة .

ضحك الجميع لتذمره وقال خالد :

ـ وماذا كنت تريد أن نفعل يا وليد ، أكنت تريدنا أن نسافر إلى سويسرة على دراجتين من نوع « القسبا » ؟ !

أجاب وليد :

ـ لا هذا ولا ذاك . . ولكن جلسة في وادٍ ظليل وعلى ضفاف ماءٍ جارٍ ، وأكلة شواء شهي خير عندي من عشر قلاع خربة .

ضحك خالد وقال :

ـ إننا لم ننس أبداً معدتك الخاوية دائماً ، فأتينا معنا بما يكفي لملئها . . إطمئن من هذه الناحية . . ولكننا سنتناول طعامنا بين الاطلال لا بين الأشجار .

بدا على وليد شيء من الاطمئنان إلى مصير معدته ،

ولكنه لم يفهم سبب إصرار خالد على الأكل في هذا المكان الموحش ، فقال مجادلاً :

ـ ولكن بالله عليك لماذا نقطع كل هذه المسافة ونتجشم كل هذه المشاق لنأكل بين خرائب لا يسكنها غير البوم ؟ !

أجاب خالد متعجباً :

ـ عجباً لك يا وليد ! ألا تشعر وأنت بين آثار الماضي بسحر غريب يفوق في تأثيره سحر الطبيعة الحية ؟

أجاب وليد موافقاً على مضض :

ـ بلى . . بلى . . ولكن أسرعوا ما أمكن فإني أكاد أموت من الجوع .

قال خالد :

ـ هلموا نستأنف السير ، ولكن ببطء زائد ، فالجزء الباقي من الطريق في غاية من الوعورة والخطورة . . وقد نضطر أحياناً إلى الترجل وجرّ الدراجتين جراً .

بعد نصف ساعة من السير البطيء ، بل والترجل أحياناً والسير على الأقدام ، وصلت الفرقة إلى باب القلعة وقد بلغ التعب منها مبلغه ، فألقوا عصا الترحال لينالوا قسطاً من

الراحة بعد هذا التسلق الطويل المرهق .

قالت ليلى وهي تتنهد بارتياح :

ـ أخيراً وصلنا . . يا له من طريق متعب .

وجلست وجلسوا من حولها يلتقطون أنفاسهم بينما واصل « سرور » سيره ، ودخل القلعة ليتفقد المكان ، بينما حط « فصيح » على غصن شجرة من الأشجار البرية النابتة في ذلك المكان ، وأما « فينو » فقد ربض غير بعيد من الجماعة وراح يتثاءب ويغمض جفنيه وكأنه يحاول أن ينام .

قال وليد وقد عاوده تذمره :

ـ ألم يجد هؤلاء القوم مكاناً أفضل من هذا وأسهل ليبنوا قلعتهم ؟

أجابه خالد :

ـ إن هذا الارتفاع الشاهق ضروري لبناء كل قلعة ، فمن هذا المكان المرتفع يستطيع الراصد ان يكتشف تحركات العدو على مسافات واسعة . .

انظروا حواليكم تروا مصداق ذلك . . فنحن نرى الآن عشرات القرى تحتنا في السهول وعلى الهضاب . . يضاف إلى ذلك أن العدو إذا أراد مهاجمة من في القلعة فإنه يخسر

جزءاً كبيراً من قوته في عملية الصعود ، وحينئذ يكون أصحاب القلعة أقدر على الدفاع عن أنفسهم والتغلب على عدوّهم الذي أرهقه الصعود ، واستنفد كثيراً من نشاطه .

قالت ليلى :

ـ إن المنظر من ههنا في غاية الجمال والروعة . . ولست أدري لم لا يأتي الناس إلى هذه الأمكنة للنزهة والاستمتاع بجمال الطبيعة ؟ !

أجابها خالد :

ـ ليس كل الناس يملكون دراجات نارية توصلهم إلى هنا . . ولكن لو أن الدولة شقت طريقاً عريضاً للسيارات . . ولو أن أحدهم جاء فافتتح في القلعة مقصفاً أو استراحة لغدت المنطقة من أنشط المراكز السياحية في القطر .

قال وليد وقد نفد صبره :

ـ هل انتهينا من درس في التاريخ لنبدأ درساً في الجغرافية ؟ ألا تفكرون بدرس عملي في تحضير المائدة وتناول الطعام ؟

ضحك الجميع ووافقوا سريعاً على اقتراحه ، فقد شعروا بالجوع كما شعر هو ، ولا سيما بعد أن استردوا شيئاً من عافيتهم ونشاطهم بعد هذا المجهود المضني الذي بذلوه .

وتولت ليلى وأخوها عصام أمر إعداد المائدة ، فذهبت إلى إحدى الدراجتين فأتت ببساط خفيف بسطته فوق الأعشاب الطرية ، بينما لحقها أخوها بأربع علب ورقية فتحها ، ثم راح يستخرج منها الأطعمة التي كانوا أعدوها منذ البارحة .

ويظهر أن رائحة الطعام الشهي وصلت إلى أنف « سرور » ، إذ ما كاد الرفاق يتحلقون حول مائدتهم حتى ظهر « سرور » وهو يهرول وعيناه تحملقان في الطعام . . كما أن « فينو » كف عن تثاؤبه وأقبل يدور حولهم منتظراً أن يقدم إليه نصيبه . . وكذلك فعل « فصيح » إذ طار من فوق غصنه وجاء فحط على كتف خالد .

تناول خالد قطعة كبيرة من اللحم فألقى بها الى « فينو » الذي راح ينهشها بنهم ظاهر . . أما « سرور » فلم ينتظر أحداً بل مدّ يده فتناول ثلاثة أصابع من الموز الصومالي

الضخم ، ومضى يقشرها بخفة ، ويلتهمها واحدة بعد الأخرى ، وهو يرمق « فصيحاً » بنظرات لا تخلو من التشفي والشماتة لأن أحداً لم يهتم بأمره ، فصاح « فصيح » :

ـ « سرور » غبي . . « سرور » وحش . .

وهنا فقط تذكر خالد طائره المسكين فألقى إليه بتفاحة كبيرة وهو يقول :

ـ لا تحزن يا « فصيح » . . إليك أيضاً نصيبك . . ولا تؤاخذنا إذ نسيناك في غمرة انشغالنا بأمر أنفسنا .

وأقبل الجميع على طعامهم بشغف ظاهر وشهية هائلة حتى كادوا يقضون على كل ما حملوه معهم من الزاد .

الرجـل الغامض

قال خالد بعد فراغهم من الطعام :

ـ ما رأيكم الآن بجولة في جنبات القلعة ؟

أجاب عصام :

ـ لا بأس . . ولكني لا أرى في هذه الأطلال ما يستحق الاستكشـاف سوى ذلك البـرج في الجانـب الآخـر من القلعة .

قال خالد :

ـ هذا صحيح . . ولكن لا بد للوصول إليه من اجتياز هذه الخرائب والأطلال .

ومضى الجميع ما عدا « فينـو » الـذي تركوه لحراسـة الدراجتين والطعام من أي غزو محتمل .

وساروا بين الأطلال التي كادت تختفي تحت ركام الأتربة

والأحجار والتي نبت فوقها وبين معالمها كثير من الأعشاب الجبلية التي ساعدت على طمس معالمها . وكان خالد يشرح لهم وظيفة كل جزء من أجزاء القلعة حتى انتهوا إلى البرج .

وما كادوا يضعون أرجلهم في مدخل البرج حتى تعـالى صوت سعال خشن لرجل . واستمر السعـال لحظـات ، وبدا بوضوح ان المجهول الذي يسعل يحاول عبثاً كبح جماح سعاله دون جدوى .

همست ليلى قائلة :

ـ من هذا ؟ كان المفروض أن المكان منقطع لا يصل إليه أحد .

أجابها خالد بصوت خافت :

ـ لا شك أن الأمر ليس كما كنا نعتقد . . فهـذا صوت رجل لا شك فيه .

تقدم وليد قائلاً :

ـ سأدخل لأرى من يكون .

ولكن خالداً أمسك بساعده يمنعه وقال :

ـ صبراً يا وليد . . يجب أن نحذر هذا المجهول .

نظر إليه وليد وقال باستغراب :

ـ هل تخشاه يا وليد ؟ إنها المرة الأولى التي تتراجع فيها . . هل أنت خائف ؟

نظر إليه خالد معاتباً وقال :

ـ أهذا ما تبادر إلى ذهنك . . ؟ كلا إني لست بخائف ولكني كنت أحب الحيطة والحذر . . والآن اتبعوني .

وتقدم عصام ووليد فتبعا خالداً ، بينما ظلت ليلى وحدها فقالت :

ـ ولماذا أبقى وحدي ؟ سأدخل معكم .

ولكن خالداً توقف عن السير وقال لها :

ـ لا يا ليلى . . ابقي هنا . . فربما نحتاج إلى مساعدة تقومين بها .

ضحك وليد باستخفاف وقال :

ـ كأننا في طريقنا إلى مغامرة ! . أي خيال يسيطر على حواسكم وتفكيركم .

لم يجبه أحد منهم ، بينما قال عصام لليلى :

ـ الأفضل بقاؤك حيث أنت وسنعود إليك سريعاً .

واتخذوا طريقهم في البرج بحذر ، و « فصيح » يعتلي كتف خالد . وما كادوا يقطعون قليلاً في دهاليز البرج حتى رفع خالد ساعده مشيراً إليهم بالوقوف . . وتجمعوا حوله فقال هامساً :

ـ اسمعوا إني أسمع صوت تنفس قريب .

وسادهم الصمت . . وتناهى إلى أسماعهم صوت شخص يتنفس بصعوبة . كان الصوت واضحاً وقوياً ، وكان ينبعث من زاوية من زوايا البرج المظلمة .

تقدم وليد خطوة وهو يقول :

ـ انتظروني . . سأكتشف الأمر بنفسي .

ولكن صوت أنين متقطع جعله يتجمد في مكانه ويستبد به الذعر . وسادهم الصمت قليلاً ، ثم عاد صوت الأنين . . كان أنيناً موجعاً لإنسان يتعذب .

قال خالد :

ـ ألا يحمل أحدكم مصباحه الكهربائي ؟

قال عصام :

ـ معي علبة كبريت .

فقال خالد :

ـ أشعل عوداً منها .

وبدد ضوء الكبريت شيئاً من ظلمة البـرج الدامسـة ، ولاحت ظلالهم تتراقص على جدران البـرج كأنهـا أشبـاح شياطين . وعلى الرغـم من خفـوت الضـوء استطاعـوا أن يتبينوا جسداً ملقى على بعد أقدام منهم كان الأنين الخافت يصدر عنه .

أسرع إليه خالد فوجده في غيبوبة تامة ، وفحصه فلما لم يجد به جرحاً أو كسراً ظاهراً نادى وليداً وقال له :

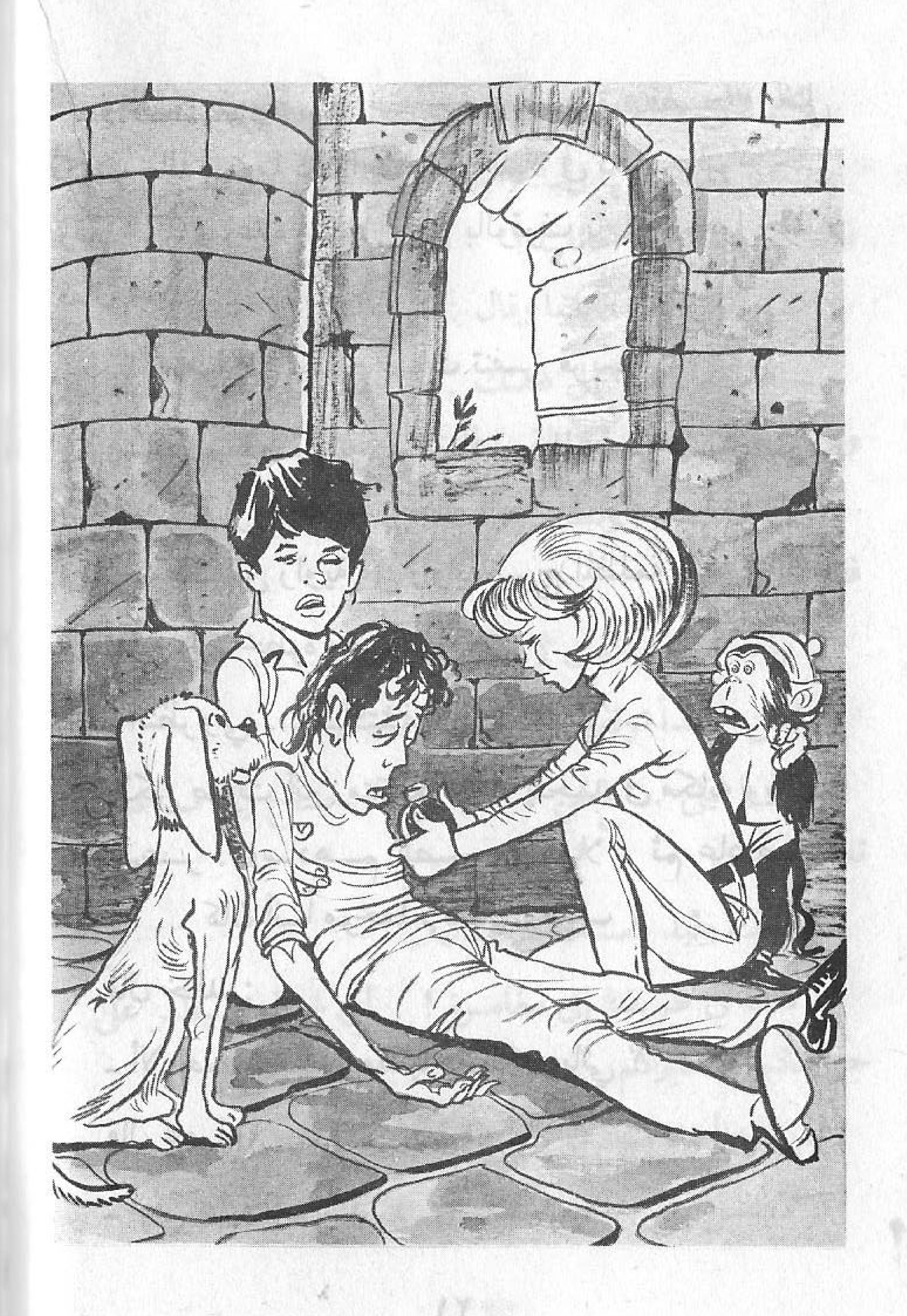
ـ أسرع يا وليد ، احمله معي إلى خارج البرج .

وتعاونوا على حملـه ، وأسرعـوا به إلى الخـارج ، حيث فوجئت ليلى بظهورهم . وما كادت تتبين حملهم حتى هبت مذعورة تنظر إلى الجسد المحمول الغائب عن وعيه وقالت متسائلة :

ـ ماذا به ؟ أهو جريح ؟

أجابها خالد وهو يُوسِّـده الأرض بهدوء :

ـ سنتحقق من ذلك حالاً .



كان الجسد لشاب في ملابس زرقاء خشنة . . وكان وسيماً رغم الشحوب الذي كسا وجهه ورغم لحيته التي نبتت وبدا أنها مهملة عدة أيام . وكان يتنفس ببطء وصعوبة . فقال خالد :

ـ أعطني بعض الماء يا ليلى .

أجابت ليلى :

ـ لقد تركت الماء مع كل زادنا امام باب القلعة ، ولكن « سروراً » يستطيع أن يأتي به مسرعاً .

ما كاد « سرور » يسمع كلمات ليلى حتى انطلق يهرول نحو باب القلعة دون أن ينتظر أمراً من خالد . وعاد بعد لحظات وهو يحمل قربة صغيرة معدنية مما يحمله فتيان الكشافة في رحلاتهم ، ومد يده بالقربة إلى خالد الذي اختطفها بسرعة ، ثم فتح فمها وتناول منها قليلاً من الماء بفمه ثم التفت ولفظه في وجه الشاب المغشي عليه الذي ما كاد الماء البارد يلامس وجهه حتى ارتعش قليلاً ، ثم بدأ يفتح عينيه ببطء .

ودار ببصره بينهم ثم لاحت في عينيه نظرة ذعر وحاول أن ينهض فعاونه وليد حتى جلس وهو على ما هو عليه من

الرعب الذي ظهر واضحاً في نظرات عينيه الوجلة .

وأخيراً قال بصوت واهن خافت :

ـ من أنتم ؟

أجابه خالد بابتسامة طمأنته :

ـ كما ترى . . أصدقاء في رحلة .

تحسس الشاب لحيته النامية وملابسه الزرقاء الخشنة وعاد الخوف يسيطر عليه عندما سأله خالد :

ـ يبدو عليك الضعف . . هل أنت مريض .

هز الشاب رأسه نفياً ، وهمّ بالوقوف ولكنه أخفق في محاولته فقال وليد :

ـ إنك ضعيف يا أخ . . استرح قليلاً . .

قالت ليلى :

ـ هل تشعر بالجوع . . ؟ يبدو أنك . . .

قاطعها الشاب قائلاً :

ـ هل معكم شيء من الطعام ؟ إنني لم أذق شيئاً منذ أمس الأول .

ندت عن ليلى صرخة إشفاق خافتة ، بينما أشار خالد إلى « سرور » ففهم هذا ما هو مطلوب منه فانطلق يهرول ثانية نحو باب القلعة ، وعاد ومعه عدد كبير من السندويشات التي قدمها الى الشاب الجائع ، فاختطفها هذا بسرعة وراح يلتهمها واحدة بعد الأخرى كأنه الوحش الجائع ، والجميع ينظرون إليه بإشفاق . وكان هو أيضاً ينظر إليهم في ذعر يشبه ذعر الهرة وهي تأكل وكأنها تخشى أن يَخْطَفَ منها الطعام .

وأخيراً أبطأ في المضغ ، وامتدت يده فأخذ القربة من يد خالد ، ورفعها الى فمه فأفرغ فيه نصفها تقريباً . ثم تناول خالد منه القربة وقال :

ـ هل شبعت ؟

أجابه بصوت متهدج :

ـ أشكرك . . أشكركم جميعاً .

قال خالد :

ـ ولكن كيف وصلت إلى هنا لتظل دون طعام كل هذه المدة ؟ هل أصابك مرض مفاجىء ؟

هبّ الشاب في حركة سريعة مفاجئة وقال بخوف :

ـ أرجوكم . . لا تسألوني . . ليس لأحد أن يسألني .

ولكن خالداً ظل على نظرته الهادئة نحوه ، وقال بهدوء :

ـ لك ما تشاء ، ولن نسألك فهذا شأنك ، وما سألتك إلا خوفاً عليك .

كان الشاب ينصت إليه . ووضح أنه تأثر بذلك الصوت الهادئ الرزين لشاب لا يزال صغيراً فقال :

ـ إنني لم أتعمد أن أكون فظاً بعد أن قدمتم لي طعامكم . . إنني مدين لكم . . ولكنني أخشى أن . .

وكف عن الكلام وقد استبد به اليأس ، وأطل من عينيه الغائرتين قنوط قاتل ، فقال عصام بحنان :

ـ لا بأس عليك . . إذا كنت لا تريد الكلام فلن نحملك عليه حملاً .

وقالت ليلى بصوت رقيق :

ـ إن كل ما كان خالد يخشاه (وأشارت إلى خالد) هو أن تكون مريضاً ، ويعود إليك مرضك بعد انصرافنا فلا يسعفك أحد . ألم يكن هذا هو المقصود من سؤالك يا خالد ؟

وأجاب خالد مخيباً ظن ليلى :

ـ ليس الأمر كذلك . . إن الفضول وحده هو الدافع لي إلى تساؤلي ، فليس بالأمر الطبيعي أن نراه هنا شبه ميت في هذا المكان المنقطع .

ازداد الشاب إعجاباً بصراحة خالد وصدقه ، وكان ذلك مما زاد في اطمئنانه فعاد يقول :

ـ سأقص عليكم قصتي كلها ، فهل تعدونني بالكتمان ؟

وهز الجميع رؤوسهم موافقين ما عدا خالد الذي قال :

ـ ليس هذا من الصواب في شيء ، فربما كان الكتمان مضراً بك .

نظر الشاب إليه في قلق وعاوده خوفه فقال :

ـ في هذه الحالة لن أخبركم بشيء .

قالت ليلى تطمئنه :

ـ لا تخش شيئاً . . إن كل ما نريده هو مساعدتك فقط ، فإذا كان الكتمان في مصلحتك فعلناه . . وإذا كان غير ذلك فليس بك إليه حاجة . نحن كما ترى أصدقاء عاهدنا أنفسنا على أن نكون عوناً لكل ضعيف إن كان على حق .

سألها الشاب :

ـ ومن أين لي أن أثق بأنكم ستصدقونني ؟ أقسم لكم أن ما سأقوله لكم هو الحق ولا شيء غير الحق .

كانت لهجته صادقة فلم يتردد خالد هذه المرة وقال :

ـ اذن فلا تخشى شيئاً ، وستجدنا جميعاً في خدمتك .

قال الشاب وقد اطمأن إليهم :

ـ ألم تطالعوا الصحف في بداية الأسبوع . لا شك أن خبراً لافتاً للنظر طالعكم فيها ؟

سألته ليلى :

ـ ما نوع الخبر الذي تشير إليه ؟ إننا عادة نطالع كل الصحف وجميع المجلات ؟

أجابها الشاب :

ـ هل قرأتم عن سجين هرب من حارسه بعد الحكم عليه بثلاث سنوات ؟

انكمشت ليلى على نفسها بينما غمغم خالد يقول :

ـ نعم . . نعم . . إذن فأنت المهندس عادل مقصود الذي هرب من حارسه وهو خارج من قاعة المحكمة ؟ . .

كان يجب أن ندرك ذلك من الوهلة الأولى . . إن ملابس السجن الواضحة واختفاءك في هذا البرج بغير طعام أو شراب كلها دلائل ما كان لها أن تغيب عن تفكيرنا .

وعاد الخوف والقلق إلى الشاب بعد هذا التحول في نظرتهم إليه فقال :

ـ هذا ما كنت أخشاه . . إن معرفتكم حقيقتي جعلتكم تنفرون مني ، ولا شك أنكم نادمون على ما قدمتم لي .

اعترضه خالد قائلاً :

ـ لا ، لا ، إن هذا لم يخطر لنا على بال ، فما قدمنا لك إلا ما يفرضه علينا الواجب وحده .

اجابه الشاب :

ـ إنني أعني معرفتكم لحقيقتي . . سجين هارب مطارد لا يستحق منكم كل هذا العطف .

كان ذلك هو شعورهم الحقيقي ، فقد أحسوا جميعاً بشيء من الرهبة لوجودهم مع سجين هارب . . حتى « سرور » نفسه توجس منه فكان ينظر إليه بحذر .

ولمح خالد ما اعترى « سروراً » من قلق فقال له مطمئناً :

ـ إنه صديق يا « سرور » . هيا تقدم وصافحه .

وكم كانت دهشة الشاب حين مدّ « سرور » يده يصافحه بحرارة ويشد على يده في مودة وكأنه إنسان واعٍ . وظل يرقبه دهشاً وهو يجلس بينهم في وقار .

قال الشاب :

ـ إن مجرد وصفي بأنني صديق يشجعني على مصارحتكم بحقيقة قصتي . وسأترك لكم الحكم النهائي على ما تسمعون . وأقسم لكم سلفاً إنني صادق في كل حرف سأنطقه على الرغم من إدانة القضاء لي وحكمه عليّ بثلاث سنوات .

تنحنح خالد وقال محاولاً إخفاء انفعاله :

ـ إننا نصدقك ، ولكننا نعيب عليك سوء تصرفك ، فهل تدرك إلى أي مدى أسأت إلى نفسك وإلى حارسك المسكين بهذا الهرب ؟

لم يجبه الشاب وأطرق برأسه ، ثم قال بصوت خافت :

ـ في الواقع لم أفكر إلا بانتهاز الفرصة السانحة للهرب . وكان كل ما أصبو إليه هو الحصول على دليل

براءتي من خصمي الذي كان السبب في إيقاعي في غياهب السجن .

سأل خالد يقول :

ـ ومن يكون صاحبك هذا ؟

قاطعه الشاب وهو يزمجر غضباً :

ـ لا تدعُه بصاحبي . . إنه خائن ولص وجبان .

هدأ خالد من غضبه وقال :

ـ لا بأس . . فَلْنَدْعُه غريماً لك . . ولكن علينا قبل كل شيء أن نعرف اسمه وعنوانه حتى نكون أقدر على مساعدتك ، وكذلك عنوانك .

ومضى الشاب يملي على عصام ما طلبه منه خالد ، فلما انتهى عصام من كتابة كل البيانات طلب منه خالد قراءتها للتثبت منها فشرع عصام يقرأ :

ـ أولاً : أسعد القاسم ١٨ شارع المتنبي . حي المشارقة .

ثانياً : عادل مقصود ٣٥ شارع الجلاء . حي باب السلام .

قال خالد :

ـ والآن أنصحك بتسليم نفسك . واترك الباقي لنا ولوالدي المفتش جميل .

هبّ عادل مقصود من مكانه مكفهر الوجه ، وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

ـ أسلّم نفسي ؟ لا . . لن يكون هذا قبل الحصول على دليل براءتي . . إنني لم أهرب لأعود فأسلم نفسي بناء على نصيحة ساذجة .

قال له عصام :

ـ إن استسلامك للشرطة سيكون في مصلحتك . . وأما دليل براءتك فسنحصل نحن عليه بعد سماع قصتك .

ونهض وليد متأهباً لأية بادرة عنف قد تبدو من الشاب ، وأدرك خالد ما ينوي وليد فقال :

ـ لن نرغمك أيها الشاب على شيء لا تريده . ولكنها مجرد نصيحة . .

قاطعه عادل بحدة :

ـ لن أقبل هذه النصيحة . . لن أستسلم قبل الحصول

على الدليل الذي يثبت براءتي أو أحقق انتقامي . .

قالت ليلى :

ـ لن تكون قادراً على ذلك . . فأنت الآن مطارد ، والشرطة تبحث عنك في كل مكان . . ومجرد ظهورك بألبسة السجن هذه سيلفت الأنظار إليك ، ويجعلك عرضة للوقوع في أيدي الشرطة مرة أخرى . . ألا ترى أنك مغلول اليدين وعاجز عن العمل ؟

نظر إليهما عادل بإمعان وقال :

ـ ليكن ما يكون . . « لن أستسلم قبل أن أواجه الخائن وأنتزع منه دليل براءتي .

قال خالد بهدوء :

ـ في هذه الحالة سننسحب من الموضوع . ولكنني لا أخفي عليك اننا مضطرون إلى إبلاغ الشرطة بكل ما رأينا .

تراجع عادل خطوة إلى الوراء وقال :

ـ كنت اخشى هذه النتيجة وأتوقعها . . ومع ذلك فافعلوا ما بدا لكم ، فلن يجدوني . . ولكن لا بد أن أبدي أسفي لسذاجتي حين صارحتكم بأمري وسمحت لكم أن

تخدعوني متظاهرين بالرغبة في سماع قصتي .

قال خالد :

ـ ولا نزال راغبين في سماع قصتك ، ولكن نفضل أن يسمعها منك والدي ، فهو مفتش في الشرطة وهو أقدر الناس على مساعدتك . وإذا رفضت فكن على ثقة بأنك ستفقد آخر أمل لك في إظهار براءتك . واعلم أننا ربينا على احترام القانون ، ولن نخرج على القانون أبداً .

سأله عادل :

ومن طلب منكم الخروج على القانون ؟

اجابه خالد :

ـ أنت . . فإنك برغبتك في كتمان أمرك ومساعدتك على الاختفاء تريدنا أن نرتكب خطأً يعاقب عليه القانون .

سألته ليلى :

ـ وما شأننا في ذلك نحن ؟ دعه يا خالد يذهب وسوف ننسى الموضوع نسياناً تاماً .

أجابها خالد لائماً :

ـ ألا تعلمين أن كل من يتستر على محكوم عليه بحكم قضائي يعاقبه القانون بالسجن ، فما بالك بمحكوم هرب من

حكمه ومن حارسه ؟ !

قال عصام وقد أشفق على الشاب :

ـ إنه أخطأ ولا شك بهربه . . ولكن علينا أن نساعده .

أجابه خالد بصراحة :

ـ لن تكون مساعدتنا مجدية وهو هارب على تلك الصورة ، وقد خلف وراءه حارساً مسكيناً ملقى في السجن بسببه . ألم تفكروا في مصير هذا التعس وفي أولاده الذين حرموا منه ؟

ساد الصمت قليلاً ثم قال عادل :

ـ أنا أيضاً آسف من أجله . . ولكن ماذا أفعل لمساعدته ؟

أجابه خالد بهدوء :

ـ إن خلاصه مرهون بك .

قال عادل :

ـ أتعني أن تسليمي نفسي يكفي لإنقاذه من السجن ؟

هز خالد رأسه نفياً وقال :

ـ إن استسلامك لن ينقذه تماماً ، ولكنه سيخفف عقوبته

كثيراً .

أطرق عادل مفكراً ثم قال :

ـ ولكن هل أستطيع أن أثق بمساعدتكم لي بعد استسلامي ؟

قال الجميع بصوت واحد :

ـ لا شك في ذلك أبداً .

قال عادل :

ـ وهل سيكون استسلامي عن طريقكم ، أم أذهب تواً إلى أول مخفر للشرطة ؟

أجابه خالد :

ـ أفضل أن يسمع والدي قصتك ويقوم هو بإجراءات تسليمك .

تدخلت ليلى قائلة :

ـ وكن على ثقة بأن عمي المفتش سيكون نصيرك إذا اشتَمَّ الصدق في قصتك ، وإني أنبهك إلى شيء هام . . فعَمّي المفتش جميل سيكتشف سريعاً صدقك من كذبك .

أجابها عادل :

- إنني لا أكذب . . وسوف يصدقني .

تنهد خالد بارتياح وقال :

- إذن هلمّ بنا . . سنأخذك إلى المنزل لتقابل والدي وليسمع قصتك من فمك . وأعدك أنه لن يتخلى عنك .

قال عادل مستسلماً :

- إذن هيا بنا - إنني آنست فيكم الصراحة والصدق وكل ما أرجوه ألاّ يقبض عليّ في الطريق قبل وصولنا .

نظر إليه خالد بإمعان وقال :

- ستركب « القسبا » خلف صديقنا وليد . فإذا خلعت هذه القبعة وشمرت قميصك فلن يفطن أحد الى أنك سجين هارب .

مفاجأة غير سارة

فعل عادل ما اقترحه عليه خالد ، ثم أخذوا طريقهم نحو باب القلعة حيث تركوا متاعهم ودراجتيهم ، فجمعوا المتاع وركبوا الدراجتين ومضوا يهبطون الجبل بمثل البطء الذي صعدوا به . فلما وصلوا إلى الطريق العام قفلوا راجعين إلى المدينة ، وتحرى خالد الدخول إلى المدينة من أقل الشوارع ازدحاماً حتى لا يلفتوا إليهم الأنظار . كان كل همه أن يصل بالسجين الهارب إلى والده سليماً .

وصلوا أخيراً إلى المنزل فترجلوا داخل الحديقة ورأوا سيارة أجرة تقف أمام الباب وسائقها في مكانه .

وقف عادل مضطرباً ينظر إلى ما حوله بقلق ظاهر عندما قال خالد :

- أنت الآن ضيفي فلا بأس عليك ، وكن هادئاً صادقاً مع والدي ، وثق أنه سيصل إلى الجاني أياً كان ، فتكون

حراً طليقاً في القريب العاجل ، وكل ما عليك هو الصدق وألاّ تحاول خداعه .

ودخلوا المنزل وأجلسوا عادلاً في غرفتهم ، واستأذن خالد لينهي الأمر إلى والده .

ولكن مفاجأة غير سارة كانت في انتظاره ، إذ مضى إلى حجرة والده فوجدها خالية ، فلما خرج منها التقى بامه فسألها عن والده فأخبرته ببساطة أنه سافر على عجل في مهمة سرية تستغرق أسبوعين .

وأسقط في يد خالد . لقد تبدل الوضع . . عليه الآن أن يتصرف بسرعة في أمر عادل . . ولكن كيف ؟

كانت أمه تستعد للخروج فسألها :

ـ إلى أين يا ماما ؟ يبدو أنك ستغادرين المنزل ؟

أجابته والدته سعاد :

ـ سأزور خالتك لأهنئها بنجاح ابنتها نجلاء . هل تريد مرافقتي ؟

قال وهو يفكر بسرعة :

ـ سأفعل ذلك غداً إن شاء الله . أما اليوم فإني متعب .

سألته وهي تمعن فيه نظرها :

ـ وهل رجعت وحدك أم أن الفرقة معك ؟

ضحك خالد لوصفها رفاقه بالفرقة وقال :

ـ إنهم جميعاً هنا . . وسينصرفون بعد قليل ، فهم كذلك متعبون مثلي .

سألته وهي تتأمل ملابسها في المرآة :

ـ وهل استمتعتم برحلتكم ؟ إنك لم تصف لي ما صادفكم فيها كما هي عادتك دائماً ؟

وتلعثم قليلاً ثم قال متداركاً :

ـ سأفعل ذلك طبعاً ولكن عندما أستحم وتعودين من زيارتك .

وتأهبت السيدة سعاد للنزول فقال يسألها :

ـ ألا تعلمين أين ذهب بابا ؟

أجابته باسمة :

ـ ألا تزال تجهل طباع والدك يا خالد ؟ إنه لا يفشي أسرار عمله أبداً . .

تنهد خالد يائساً وقال :

ـ لعله يتصل بنا تلفونياً .

وبدا الآن الاهتمام على أساريرها وهي تسأله :

ـ يبدو أنك متحرق للاتصال بوالدك . . هل في الجو شيء ؟

فاجأه سؤالها فقال بسرعة :

ـ لا . لا . إنه مجرد شوق إليه . . هذا كل ما في الأمر .

تظاهرت أمه بالاقتناع بجوابه وفتحت الباب وهي تقول :

ـ بلغ رفاقك تحيتي فالسائق ينتظرني .

واستدار بعد أن صفقت أمه الباب خلفها ، ومضى إلى الرفاق ليأخذ رأيهم في الأمر بعد أن أجبرته الظروف الطارئة على أن يتولى هو والفرقة مشكلة عادل العويصة .

قال وهو يجلس بينهم :

ـ لقد حدث ما لم يكن في الحسبان . . إن والدي سافر في مهمة ، وسوف يتغيب أسبوعين .

قالت ليلى وقد بدا الوجوم على الجميع :

ـ وما العمل إذن ؟

أجابها وهو مستغرق في التفكير :

ـ هذا ما سنقرره الآن . . يجب أن نجد للأمر حلاً سريعاً .

قالت ليلى :

ـ لم يبق أمامنا سوى أن نتولى العمل بأنفسنا .

نظر إليهما عادل نظرة شكر وعرفان وقال :

ـ أشكرك يا آنسة ، ولكن الأمر أصعب مما تظنون .

أجابه خالد وهو ينظر إلى ساعته :

ـ أمامنا ثلاث ساعات كاملة نستمع فيها إلى قصتك ، ثم نتشاور في ما يجب أن نعمل .

قال عادل :

ـ لا أظن أن بإمكانكم أن تعملوا شيئاً .

قال خالد :

ـ لن تخسر شيئاً على كل حال . . فهات قصتك .

قال عادل :

ـ سأفعل . . ولكنّ لي شرطاً واحداً .

سأله خالد :

ـ وما هو ؟

قال عادل :

ـ إذا وجدتم الأمر فوق طاقتكم ، فشرطي أن تتركوني أحاول بنفسي ، فربما أنجح .

هز خالد رأسه رافضاً الاقتراح بشدة وقال :

ـ لا تحاول إقناعنا بتركك تفعل ما يحلو لك ، إذا عجزنا نحن عن مساعدتك ، فأنت أعجز منا عن مساعدة نفسك .

ـ وماذا تريدني أن أفعل إذا أخفقتم في إثبات براءتي ؟

أجابه خالد :

ـ في هذه الحالة سيتولى الأمر والدي عند عودته ، وكن على ثقة من أنه سينجح .

صمت عادل يفكر برهة ثم قال :

ـ ليكن . . إليكم قصتي من أولها .

وتجمعت فرقة المغامرين حول عادل وقد استبد بهم الفضول حتى « سرور » و « فصيح » جلسا صامتين يترقبان ما سيقول .

قصة لا تصدق

بدأ عادل سرد قصته فقال :

ـ تخرجت من كلية الهندسة بتفوق ، فرحت أبحث لي عن عمل حتى وصلت إلى شركة المقاول الكبير عبد الغفور البحري ، حيث التقيت بأحد زملائي في الدراسة الذي هو أسعد القاسم . وفهمت منه أنه يعمل في الشركة مهندساً فتعجبت من ذلك ، لأن أسعد لم يكن من الطلاب النجباء ، وقد تخرج بدرجة متوسطة ، وشركة البحري لا تنتقي موظفيها إلا من بين أمهر المهندسين . ولكن عجبي زال بعد ذلك عندما علمت أن أسعد هو خطيب ابنة صاحب الشركة الآنسة لمياء ، وعلى كل حال فإن أسعد رحب بي وسعى لدى حميه صاحب الشركة حتى قبلني مهندساً فيها .

وتَسلّمت العمل وكنت سعيداً بمرتبي الكبير نسبياً . وتفانيت في عملي حتى أصبحت أقرب مهندسي الشركة إلى

السيد عبد الغفور البحري . ومرت السنة الأولى ، ورشحني صاحب الشركة للسفر إلى المانيا في مهمة تخص الشركة . ويبدو أن أسعد كان يحب أن تناط به هذه المهمة فحاول إقناعي بالاعتذار عن القيام بها لتكون له فرفضت . وعند ذلك غضب غضباً شديداً وراح يعاتبني قائلاً :

ـ انظر يا عادل . . أنا الذي سعيت لك في هذه الوظيفة التي لم تكن تحلم بمثلها . . وأنا الذي هيأت لك أن تصير المهندس الأول في الشركة . .

فقلت أقاطعه :

ـ أما أنك سعيت لي في الوظيفة فهذا حق وأنا أشكره لك . . وأما أنك هيأت لي ان أكون المهندس الأول فهذا غير صحيح . إنه جهدي وإخلاصي في خدمة الشركة .

فلما لم يجد في العتاب فائدة قال يهددني :

ـ إذا كنت تراني الآن مهندساً قانونياً في الشركة فإن هذا لن يطول . . إنها أشهر قليلة وتراني بعدها جالساً فوق كرسي الرئاسة .

ونظرت إليه باستغراب لا أكاد أفهم ما يعني فعاد يقول :

ـ أنا خطيب الآنسة لمياء كما تعلم . . ومنذ شهر حضرت أنت وكل موظفي الشركة حفلة عقد قراني عليها . . وبعد أشهر ستزف إليّ زوجةً كاملة . وأبوها رجل مريض بمرض يئس الأطباء من علاجه ، وقرروا أنه ميت لا محالة . . هذا الشهر أو الشهر الذي بعده . . وسواء أمات اليوم أو غداً فإنني سأصبح رئيس الشركة ومالكها لأن زوجتي هي الوارثة الوحيدة لأبيها .

وسكت عادل لحظة ثم استأنف حديثه قائلاً :

ـ وهنا أحسست بالاشمئزاز من هذا الصهر اللئيم الذي ينتظر موت حميه بفارغ الصبر ليرثه ويرث مركزه ، فقلت لأسعد :

ـ هذه أمور لا شأن لي بها . وما دام عبد الغفور البحري هو الرئيس هنا ، فأنا لا أتلقى أوامري إلاّ منه . وأرجو الله أن يمدّ في أجله حتى لا أضطر إلى الخدمة تحت إمرة رئيس حقير مثلك .

امتعض وجهه لقولي ووقفت مستعداً لأية بادرة طيش قد تبدر منه . لكنه كظم غيظه وقال لي وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تهديد صفراء :

آمل ألاّ تنسى كلامك هذا في المستقبل . وسيأتـي اليوم الذي أذكرك فيه بشتائمك هذه .

وبدأت حرب خفية بيني وبينه منذ ذلك اليوم ، وكنت أتحاشى الاحتكاك به ما استطعت ، حتى جاء موعد سفري فأعددت له عدتي عندمـا فوجئت بأمـر من عبـد الغفـور البحري بإرجاء السفر إلى موعد يحدد فيما بعد .

ولم أعلق كبير أهمية على ما حدث ، ولكني أحسست أن أسعد كان وراء هذا كله . وقد تأكد ظني عند أول لقاء جرى بيننا عندما قال ساخراً :

ـ ماذا ؟ ألم تسافر ؟

أجبتـه بهدوء .

لا . لقد تأجل موعد السفر .

سألني ضاحكاً باستخفاف :

ـ لا شك أنه تأجل إلى أجل غير مسمى كما يقولون ؟

ولم أجبه بشيء وانصرفت إلى عملي متجاهلاً شأنه .

ومـرت الأيام وأنـا منصرف إلى واجباتـي مستغـرق في عملي . وازداد حبّ السيد عبد الغفور لي ، ومنحني الترقية

بعد الترقية ، وكان أسعد يزداد بغضاً لي كلما ازداد حبّ حميه لي . وكنت أشعر دائماً أن عبد الغفور لم يكن يحب صهره الحب الذي ينتظر منه . كنت أحس دائماً أن ابنة عبد الغفور هي التي تفرض على أبيها إكرام خطيبها فرضاً ، وقد ظهر ذلك واضحاً يوم عيّنه مديراً مساعداً له ثم لم يمنحه سلطات المدير المساعد ثقة منه بعدم كفايته لهذا المنصب ، بالإضافة إلى أنه كان لا يفتأ يؤجل موعد زفاف ابنته منه .

ومضى على ذلك ثلاث سنوات كنت خلالها قد رقيت إلى منصـب كبـير مهنـدسي الشركة . وعشـت سعيداً راضياً بحياتي حتى حدث ما غيّر كل شيء وأدى بي إلى ما أنا عليه الآن .

فقد هاجـم المرض فجـأة السيد عبـد الغفـور وأقعـده الفـراش ، وكان طبيعياً أن يتـولى أسعـد ادارة الشركة في مرضـه . وكان أول عمـل قام به هو أنـه استدعانـي إليه فدخلت عليه في مكتب حميه فوجدته متربعاً على الكرسي في كبـرياء وعجرفـة ، وعلامـات السعـادة بادية على أسـارير وجهه . ولم يدعني إلى الجلوس ، بل تركني واقفاً ليشعرني بأنني المرؤوس الآن . وأحسست بالإهانة تطعن فؤادي في

الصميم ، غير أني تماسكت ووقفت أنتظر منه أن يكلمني في أمر يتعلق بالعمل ، لكنه خاض في موضوعات كثيرة لا علاقة لها بالشركة ولا بالعمل وتقصّد أن يطيل الحديث ، وأنا واقف لكي يزيد في إهانتي وإيلامي ، فلما شعرت بما يرمي إليه استأذنت في الخروج والتفت أريد الباب ، وفجأة صاح بي قائلاً :

ـ أنا الذي أصرفك متى أشاء . . أنا الرئيس هنا .

قلت بغضب مكبوت :

ـ عندما يكون الحديث في شؤون لا تمت إلى العمل بصلة يكون من حقي أنا أن أنهي الحديث وأنصرف متى أشاء .

وفتحت الباب ثم صفقته خلفي في عنف وقد أزمعت أن أقدم استقالتي إذا ما تكررت منه مثل هذه الإهانة .

بعد أيام تحسنت صحة السيد عبد الغفور قليلاً ، ولكن الأطباء لم يسمحوا له بمغادرة الفراش ، ونصحوه بالراحة التامة ، ولما كان حريصاً على حسن سير العمل في الشركة كان يستدعيني إلى منزله ليطلع مني على شؤون الشركة وليصدر إليّ أوامره وتوجيهاته .

وكثرت زياراتي لمنزله لهذه الغاية حتى التقيت بابنته الآنسة لمياء مصادفة . كان هذا هو أول لقاء بيني وبينها ، فعلى الرغم من كثرة زياراتي لمنزلهم في الأيام الأخيرة ، وعلى الرغم من كثرة زياراتها لأبيها في مقر الشركة لم يحدث يوماً أن رأيتها أو رأتني .

في تلك الليلة كنت خارجاً من غرفة السيد عبد الغفور حاملاً حقيبتي بعد استعراض عام لوضع الشركة استغرق بضع ساعات ، فالتقيت بالآنسة لمياء عند أول الدرج فبادرتني بالتحية قائلة :

ـ مساء الخير أستاذ عادل . . أنا لمياء . . هل تسمح لي ببضع دقائق ؟

رددت التحية بارتباك ظاهر قائلاً :

ـ مساء النور يا آنسة . . أنا تحت أمرك .

قالت بهدوء :

ـ أشكرك . . أرجوك أن تتبعني .

وهبطنا الدرج إلى الطابق الأول ومضت الى أحد الصالونات الفاخرة وجلست على أريكة وثيرة وجلست على

كرسي أمامها فبادرتني قائلة :

ـ أستاذ عادل !! رغم أن هذا هو أول لقاء بيننا فأنا أعرف عنك كل شيء . . إن أبي يثق بك ثقة عمياء ، وقد حدثني عنك كثيراً وعن إخلاصك العظيم للشركة .

وشعرت بالخجل لهذا الإطراء فقلت مرتبكاً :

ـ أشكرك يا آنسة . . إنني لم أفعل إلا ما هو واجب عليّ . . وأنا أحب السيد عبد الغفور وأحترمه كوالد . .

قاطعتني قائلة :

ـ لهذا كله أحب أن تكون صريحاً معي كل الصراحة . . وما قصدتك إلا لعلمي أنك أكثر الموظفين علماً بالوضع المالي للشركة . . قل لي بصراحة . . هل والدي في مأزق مالي ؟

وفوجئت بالسؤال فقلت مستغرباً :

ـ أبوك في مأزق مالي ؟ عجباً ! . من قال لك ذلك ؟ !

قالت بضجر :

ـ ليس المهم أن نعرف من قال ذلك . . المهم أن نعرف الواقع .

فقلت لها :

ـ إن الوضع المالي لوالدك في غاية المتانة ، ولقد حققت الشركة في السنة المالية الحالية أرباحاً لم تحققها في أية سنة أخرى .

ظهر على وجهها فرح مشوب بالدهشة وقالت :

ـ أواثق أنت مما تقول يا أستاذ عادل ؟ إن أسعد يقول غير هذا . . يقول إن أبي في أزمة خانقة ويحتاج إلى خمسين ألف دينار . .

أجبتها مستنكراً :

ـ أسعد قال لك ذلك ؟ يا له من نذل حقير ! !

وانتبهت إلى أنني تفوهت بما لا يجوز لي التفوه به في حق أسعد الذي هو خطيبها ، فقلت معتذراً :

ـ آسف يا سيدتي لقد غلبني انفعالي . . .

قاطعتني ببرود قائلة :

ـ أنسيت يا أستاذ من هو أسعد ؟

تلعثمت وأنا أقول :

ـ ولهذا أقدم إعتذاري مرة أخرى ، وعلى كلٍ فإن إشاعة هذه الافتراءات تؤثر ولا شك في سمعة والدك الكبيرة .

قالت بهدوء :

ـ لا داعي للاعتذار . . أنا على ثقة أن حبك لوالدي هو الذي دفعك إلى ما قلت . .

وسكتت برهة وهي تفكر ، ثم رفعت رأسها وقالت :

ـ إن أبي هو كل شيء في حياتي يا أستاذ عادل . . ولا أطيق أن أسمع مثل هذا الكلام وأقف ساكنة .

قلت بصدق :

ـ وأنا كذلك يا سيدتي . . إنني لا أتورع عن فعل أي شيء في سبيله . .

نظرت إليّ وقالت بتردد وحَيْرة :

ـ ولكن لماذا يختلق أسعد هذه الأكذوبة ؟

أجبتها متسائلاً :

ـ هل اقترح عليك حلاً لهذا الموقف ؟

لمعت عيناها وهي تقول :

ـ نعم ! وقد نفذتُ له ما طلب في سبيل إنقاذ والدي .

سألتها باهتمام :

ـ هل يمكنني معرفة التفاصيل ؟ أنا لا أحب التطفل . . ولكن الأمر خطير .

أجابتني بحزن :

ـ لقد سلمته مجوهراتي كلها ليبيعها ويغطي العجز الذي زعمه .

دهشت لتصرفها وقلت :

ـ وهل باعها فعلاً ؟ إن الأمر يبدو احتيالاً يا سيدتي .

أجابتني :

ـ وهذا ما حذرني منه والدي مراراً .

سألتها بلهفة :

ـ وبكم باع هذه المجوهرات ؟

أجابت بصوت حزين نادم :

ـ قال إنه باعها بأربعين ألف دينار ، مع أن قيمتها ضعف ذلك .

لم أتمالك نفسي فقلت :

ـ سيدتي ، يجب أن نضع الأمر في يد الشرطة قبل فوات

الأوان .

وكدت أصعق عندما سمعت صوتاً هادئاً يقطر تهديداً يجيبني من خلفي :

ـ هكذا إذن ؟ !

واستدرت لأجد أسعد واقفاً في مدخل الباب وعلى شفتيه ابتسامة تقطر سماً .

وحاولت لمياء أن تتكلم ولكنه بادرها بقسوة قائلاً :

ـ وأنت يا سيدتي المحترمة . . هل تحيكين المؤامرات ضدي ؟ ومع من ؟ مع هذا الغبي . .

وكانت الشرارة التي انتظرتها طويلاً ، فقد نهضت كالملسوع لوقع الإهانة وأسرعت إليه لأصفعه وأنا أقول :

ـ أيها اللص المحتال ! ستعلم بعد قليل مَنْ منّا الغبي .

وقلت للآنسة لمياء :

ـ سأبلغ والدك بالأمر قبل إبلاغ الشرطة عن هذا اللص .

هبت مذعورة وقالت :

ـ لا . . لا تبلغه أمراً كهذا ، إن الصدمة ستقتله .

أخرج أسعد ورقة من جيبه ولوّح بها قائلاً :

ـ هل تظنين أنني أخشى إخباره ؟ سأقوم أنا بهذا عنكما . ومعي ورقة بخط يدك تطلبين فيها مني بيع مجوهراتك . . أم لعلك نسيت ذلك ؟

استولى عليها الرعب وقالت :

ـ أيها السافل ! لقد ظهرتَ على حقيقتك الآن . . أخُرج من هنا .

أجابها بهدوء وبرود :

ـ سأخرج ، ولكن حذار من أي تصرف تندمين عليه فقد يهم والدك أن يعلم بكل ما يجري حوله وتحت سقف بيته .

والتفت اليّ وقال ساخراً :

ـ أما أنت فحسابك معي . . سنصفيه في حينه .

أجابته لمياء وهي تنتفض غضباً :

ـ أيها المجرم ! ماذا يدور تحت سقف البيت ؟ إن كان هناك مايشين حقاً ، فهو سماحي لك بتدنيس هذا المنزل بقدمك القذرة . . إنك تستغل خوفي على والدي المريض لتهددني أيها اللص القذر . . أُغرب عن وجهي ولا تَدَعْني

أراك مرة أخرى .

ازدادت ابتسامته اصفراراً وقال ببرود :

ـ سأخرج . . ولكني أحذركما .

وما إن خرج حتى التفتُّ إلى لمياء وقلت :

ـ لا عليك . . سأذهب إلى الشركة فوراً لأمنع هذا اللص من أي تلاعب .

قالت وهي تمسك بساعدي متوسلة :

ـ أرجوك لا تثر فضيحة . . إنه نذل ولا يتورع عن شيء .

سألتها وقد أوقفني خوفها في حرج :

ـ هل نظل تحت رحمته ؟ يجب أن نغل يده فهو المسيطر على الشركة ، وقد يتصرف في أموالها ويسبب كارثة . . يجب أن نمنعه .

أجابتني بهدوء غريب :

ـ دع الأمر لي . . سأذهب إلى الشركة بنفسي

قلت لها :

ـ أرى أن تتركي لي هذا الأمر يا سيدتي . . لا تضعي نفسك في وضع مواجهة معه . ولا سيما في مقر الشركة . . ولا تنسي لحظة أنه زوجك وموكل رسمياً من والدك بإدارة الشركة .

سألتني :

ـ وما العمل إذن ؟

ـ إن التوكيل الممنوح له لا يسمح له بالتصرف في الأمور المالية . ولكن يسمح له بأمر المحاسب ما يشاء من الأوامر . فإذا نبهنا المحاسب ضمنا ألاّ يتلاعب بأموال الشركة .

فكرت لمياء برهة وقالت :

ـ ولكن بعد ما كان منه هنا أخشى أن يتحداك ويحرجك أمام كل العاملين وأنت لا تملك مستنداً يخول لك طرده .

قلت لها موضحاً :

ـ وهذا ما أطلبه منك الآن . . تفويضاً لي بطرده من الشركة .

ترددت لمياء برهة ثم قالت :

ـ سأحاول أن أحصل لك على هذا التفويض من والدي ، وإن كنت لا أدري كيف سأنهي له الخبر .

واستأذنتْ في الانصراف على أن تتصل بي في الشركة عندما تحصل على التفويض المطلوب .

وسكت عادل برهة وهو يحاول التغلب على ألمه ، ثم استأنف يقول :

ـ وهنا أخطأت الخطأ الذي أودى بي . فما كدت أصل إلى مقر الشركة حتى وجدتني أُواجَهُ باتهام خطير . . بسرقة عشرة آلاف دينار من أموال الشركة .

كنت قبل أسبوع من هذه الحادثة ذاهباً إلى المصرف في أمر يخصني فطلب إليّ المحاسب السيد نوري حجار أن أصرف صكاً بمبلغ عشرة آلاف دينار لأن أمين الصندوق في الشركة متغيب بسبب مرضه . وكان علي في هذه الحالة أن أعطي السيد المحاسب إشعاراً موقعاً مني باستلام الصك ، فحررت هذا الإشعار ومضيت بالصك إلى المصرف فصرفت المبلغ وعدت به إلى الشركة ، ومضيت الى المحاسب لأعطيه إياه وأسترد الإشعار فلم أجده ، ورآني أسعد فطلب مني أن أسلمه المبلغ لأنه سيدفعه الى تاجر الاخشاب الذي سيأتي

الى الشركة بين لحظة واخرى . ولم أجد حجة أتعلل بها لكيلا أسلمه المبلغ سوى أني حررت إشعاراً بتوقيعي ليشعر أن المبلغ في حوزتي ، وأنني لا أستطيع تسليم المبلغ قبل أن أسترد هذا الإشعار .

فقال لي :

ـ ولكن المحاسب السيد نوري ذهب في مهمة لا ينتظر رجوعه منها بسرعة ، وتاجر الأخشاب سيأتي الى الشركة لقبض ثمن أخشابه ، ولا يمكن أن نمسك عنه المبلغ بسبب إشعار يمكن استرداده من المحاسب في أي وقت .

وأعطيته المبلغ مضطراً ، وأنا لا أعلم ما يبيّته لي في الخفاء . ثم مضى على ذلك أسبوع كامل لم يحضر فيه تاجر الأخشاب ، ونسيت أنا أمر الإشعار فلم أطالب المحاسب به . وحين ذهبت إلى الشركة في ذلك اليوم وجدت الشرطة في انتظاري للقبض عليّ بتهمة اختلاس المبلغ المذكور .

قالت ليلى تسأله :

ـ ألم تذكر للشرطة أنك أعطيت المبلغ إلى أسعد ؟

أجابها :

ـ طبعاً قلت لهم ذلك ، ولكن أسعد أنكر ذلك ، ولم يكن معي أي دليل يكذبه .

سكت عادل قليلاً كأنه يستريح من سرده ، ثم قال :

هذه هي قصتي ، أما نهايتها فتعرفونها . . لقد حوكمت وحكم عليّ بالسجن ثلاث سنوات ، ثم هربت لأنتقم من غريمي وأنتزع منه دليل براءتي ولجأت إلى ذلك البرج إلى حين يهدأ الطلب ورائي ، فجئتم أنتم فرأيتموني على تلك الحالة .

سأله خالد :

ـ وكم من الوقت قضيت من يوم القبض عليك حتى يوم محاكمتك وهربك ؟

أجابه عادل :

ـ تسعة أشهر كاملة قضيتها في السجن بين القتلة واللصوص .

عاد خالد يسأله :

ـ ألم تحاول الآنسة لمياء أو مندوب من طرفها السؤال عنك ؟

أجاب عادل والحزن يعتصر قلبه :

ـ في الواقع لم يتصل بي أحد ولا أعرف هل أخفوا الأمر على السيد عبد الغفور أم أفهموه أنني لص حقير ؟

وبدا التأثر واضحاً على الوجوه جميعاً لهذا الشاب المخلص الذي دفعت به الظروف الى السجن بينما الجاني الحقيقي يرتع سعيداً بما سرق .

قال خالد بصوته الرزين :

ـ لا وقت لدينا أكثر من هذا نضيعه في الحديث . ولسوء حظك أن والدي كما قلت في مهمة سيتغيب فيها أسبوعين . صحيح أنني أستطيع الاتصال بأحد أصدقائه لتسلم له نفسك ولكن ذلك سيكون مغامرة . . سنحاول مساعدتك ولكن لي شرط.

سأله عادل بلهفة :

ـ ما هو ؟

أجابه خالد :

ـ ألاّ تحاول الهرب في حال فشلنا ، وأن تنتظر إلى أن يعود

والدي فتسلم نفسك له ليتولى الأمر بنفسه .

أجابه عادل :

ـ أقسم لكم . .

قال خالد :

ـ والآن علينا إخفاء عادل في مكان أمين ، ثم نخطط للعمل .

أجاب وليد :

ـ سأصحبه إلى منزلي ، وأعطيه ملابس من عندي توافق قوامه فيبدو كأنه أحد أقاربي .

وافق الجميع على فكرته ، فقال خالد :

ـ إذن أسرع بالانصراف ، وسنجتمع عندك في صباح الغد . وقبل ذلك أريد من الاستاذ عادل أن يعطينا عنوان الآنسة لمياء ، أما عنوان أسعد فهو معنا من قبل .

وبعد أن أعطى عادل خالداً ما طلب ، انصرف مع وليد قبيل عودة ماما سعاد بدقائق قليلة .

***

الزوج المجرم

فوجئت لمياء بخبر اتهام عادل بالسرقة ، وذهبت إلى مقر الشركة تستطلع حقيقة الأمر فوجدت الأدلة كلها ضد عادل ، فلم يكن أمامها بدّ من السكوت على الرغم من شعورها الخفيّ بأن الأمر كله من تدبير أسعد ، فهي لم تنس تهديده لها ولعادل قبل يوم واحد من الحادثة . وحارت في أمرها . . هل تطلع أباها على كل ما جرى ، أم تخفي عليه كل شيء خشية أن يكون في ذلك ما يؤثر فيه في مرضه ؟

وأخيراً قررت أن تكتم عن والدها كل شيء لأن الأطباء حذروا مراراً من أية صدمة قد يكون فيها القضاء عليه .

كان أسعد قد سيطر على الشركة سيطرة كاملة ، وطرد منها كل من اشتم منه الولاء لصاحبها المسكين أو لعادل الذي أحبوه وأحبهم .

ولكن غياب عادل لم يكن بالامكان كتمانه مدة طويلة ، فقد تكرر سؤال السيد عبد الغفور عنه ، وكانت لمياء تنتحل لغيابه عذراً في كل يوم ، حتى نفدت الأعذار فقالت لوالدها : إنه مريض وإن عملية جراحية ستجرى له .

ويوم صدر الحكم بإدانة عادل جاء أسعد إلى لمياء متجاهلاً ما كان بينهما من خصام فقالت له لمياء :

ـ وماذا أتى بك إلى هنا ؟ ألم يكفك ما فعلت ؟

أجابها ببرود :

ـ وماذا فعلت أكثر من وضع لص سرق مال والدك في السجن ؟

أجابته وقد احتدم غضبها :

ـ إن كان في الشركة لص يستحق السجن فهو أنت ، لقد اتهمت بريئاً لا ذنب له ، ألا تخاف الله أيها الرجل ؟

أجابها باستخفاف :

ـ لا تنسي أنك تخاطبين زوجك الذي له عليك حق الاحترام .

ازداد هياجها فقالت بصرامة :

ـ أنا لست زوجتك . . ولن أكون زوجة لك أبداً . . أفهمت ؟ لقد انكشفت حقيقتك السافلة المجرمة .

نهض أسعد من على كرسيه بهدوء واقترب منها ببطء ثم رفع يده وأهوى بها على وجهها ، فأطلقت صرخة ألم مدوية اجتذبت الخدم ، فهرعوا إليهما فشاهدوه وهو ينهال عليها صفعاً وركلاً .

وسمع السيد عبد الغفور صرخة ابنته ففزع لها ، وراح يضغط الجرس لاستدعاء الخدم فلا يجيبه أحد ، فتحامل على نفسه ونزل عن فراشه وسار حتى وصل إلى رأس الدرج وصوت العراك المحتدم يعلو ويزداد .

واعتمد بمرفقه على الدرابزين وألقى ببصره إلى الصالون فشاهد ابنته وهي تهوي على الأرض ، وأسعد يركلها بقدمه في قسوة ووحشية ، والخدم يحاولون عبثاً منعه .

صرخ السيد عبد الغفور بكل قواه :

ـ يا مجرم ! . يا سافل ! . أمسكوه . . اطردوه من هنا .

وتحشرجت الكلمات في حلقه فسقط في مكانه وعيناه على ابنته المسجاة على الأرض . وصرخ أحد الخدم :

ـ يا له من يوم مشؤوم . . أسرعوا . . إن السيد سقط على الدرج .

هبت لمياء مذعورة لسماعها كلمات الخادم وقالت :

ـ ماذا حدث لبابا ؟ أين هو ؟

وأسرعت إحدى الخادمات إلى سيدها ولكن الموت كان أسرع منها إليه .

وانكبت لمياء على جثة والدها تبكيه في حرقة ، بينما انسل أسعد خارجاً وهو لا يكتم سعادته بما حصل ، فقد أزاح من طريقه آخر من يخشى على نفسه منه . أما لمياء فهي زوجته وهو يعرف كيف يسوسها ويروّضها .

***

انتهت أيام التعزية الثلاثة وعاد كل إلى منزله لتجد لمياء نفسها وحيدة لا ترى حولها سوى الخدم الذين انصرفوا إلى أعمالهم وتركوها احتراماً لحزنها .

ودخل عليها أسعد فقال لها بعد أن حياها :

ـ إن الحزن والكآبة لن يردا لك والدك . . والأفضل أن تبدئي منذ الآن بإعداد نفسك للزفاف . . لقد تأجل زفافنا أكثر من اللازم . . وقد صار هذا الزفاف الآن ضرورة لك بعد وفاة والدك وعدم وجود رجل يحميك .

قالت في سخرية :

ـ وهل ستكون رجلي الحامي لي بعد الزفاف . . أخشى أن تكون أنت أكثر مني حاجة إلى من يحميك ، فعادل هرب من حارسه كما تعلم ، وقد مضت أيام ولم يُلْقَ القبض عليه . . لا شك أنه يترصدك الآن لينزل انتقامه الرهيب بك .

قال لها باستخفاف :

ـ إن الشرطة تبحث عنه في كل مكان ، كما أنني لم أنس أن أطلب منها حمايتي فوضعت أفراداً لحراستي أينما ذهبت .

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً :

ـ لمياء . . يا حبيبتي ، إلى متى هذا الجفاء ؟ ألم نكافح طويلاً من أجل هذا الزواج ؟ فلماذا ترفضينه الآن ؟ هل أخطأت في حقك ، قولي ؟

نظرت إليه ملياً ثم قالت :

ـ أين مجوهراتي يا أسعد ؟ لماذا كذبت عليّ واختلقت قصة حراجة الوضع المالي لأبي ؟

أجابها :

ـ إن مجوهراتك في حرز حريز . . إنها عندي في منزلي . . وإن شئت أحضرتها لك . . لقد قلت ما قلت في سبيل مصلحتك بعد أن فهمت خطأ أن مركز الشركة المالي مزعزع ، فأردت أن أنقذ مجوهراتك من حجز قد يوقعه الدائنون على أبيك وعليك . ولما اتضح كذب الإشاعات احتفظت لك بها عندي .

كان أسعد يتكلم بكل اطمئنان وصراحة ، وهو لا يدري أن تحت مقعده آلة تسجيل كانت تسجل له كل كلمة يتلفظ بها .

***

مغامرة ناجحة

في صباح اليوم التالي لذهاب عادل إلى منزل وليد بكرت الفرقة بالذهاب إليه وكانت بكامل هيئتها . لقد أدرك خالد أن عليهم أن يعملوا بسرعة للوصول إلى نتيجة حاسمة قبل عودة والده ، وإلاّ فإن موقفه سيسوء أمامه لإخفائه سجيناً هارباً . وبدأ التخطيط فوراً . وكان أول خطواته هو مراقبة منزل أسعد من جهة ، ومراقبة منزل لمياء من جهة أخرى .

قال خالد لعصام :

ـ أنت وليلى ومعكما « سرور » تتوجهون إلى منزل لمياء وتحاولون الحصول على معلومات . . ويستطيع « سرور » أن يضع جهاز تسجيل تحت أقرب مقعد تجلس عليه لمياء ، ولن يكون الأمر صعباً ، فقد وصف لنا عادل البيت وصفاً جيداً مفصلاً . وبينما يكون « سرور » في البيت للقيام بهذه المهمة تكون أنت وليلى جالسَيْن في حديقة عامة صغيرة أمام

المنزل ، تراقبان كل داخل إلى منزل لمياء وكل خارج منه .

ثم التفت إلى وليد وقال :

ـ أما أنا وأنت فسوف نتكفل بمنزل أسعد .

قال عادل :

ـ إنه يسكن في عمارة مكونة من أربعة طوابق ، وهو يحتل الطابق الأول منها ، وله مدخل خاص به ، وللشقة بابان أحدهما خلفي . ويكون في منزله حتى العاشرة صباحاً ، ثم يخرج ، ثم يعود حوالي الثالثة بعد الظهر ، ثم يخرج في السابعة ، ولا موعد محدداً لرجوعه .

***

لم يكن يخطر ببال أسعد أو لمياء أن في الغرفة شخصاً كان يسمع حديثهما ويسجل كل كلمة يتلفظان بها . ولو دارا حول المقعد الكبير الموضوع إلى جانب المدفأة لشاهدا « سروراً » قابعاً هناك وأمامه آلة التسجيل تدور في صمت وتلتقط كل كلمة .

قالت لمياء :

ـ ومتى ستحضر هذه المجوهرات ؟

أجابها بهدوء :

ـ الآن إذا شئت . . هل ترغبين في اصطحابي لإحضارها ؟ هلمي معي .

وظهر عليها التردد فقال يحمسها :

ـ أخائفة مني ؟ لماذا هذا التردد ؟

أجابته :

ـ سأذهب معك ، ولكني لن أغادر السيارة .

فقال لها :

ـ لا فرق عندي إذا كنت تفضلين ذلك .

وغادرا المكان ، وخرج « سرور » بعدهما وتحت إبطه آلة التسجيل وقفز من النافذة فرحاً بما أنجز ، وهرول مسرعاً حتى وقف أمام ليلى وعصام .

قال عصام :

ـ مرحى لك يا « سرور » مرحى !

وركبوا « الفسبا » وأسرعوا إلى منزل وليد ليستمعوا الى الشريط ولكن خالداً ووليداً لم يكونا هناك ، فجلسوا في انتظار عودتهم ، واستمعوا إلى الحديث فأدركوا أن « أسعد » استدرج لمياء إلى منزله لأمر في نفسه .